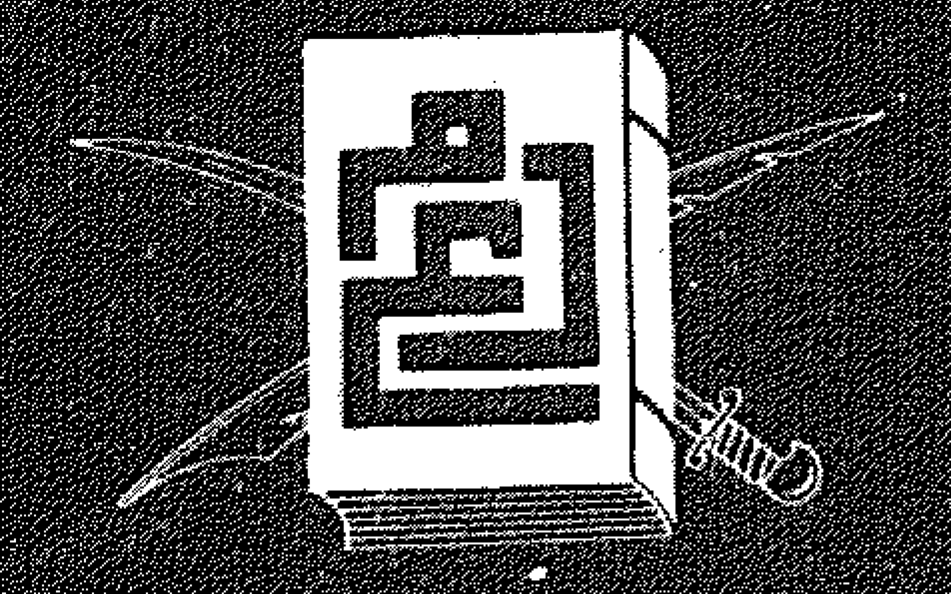
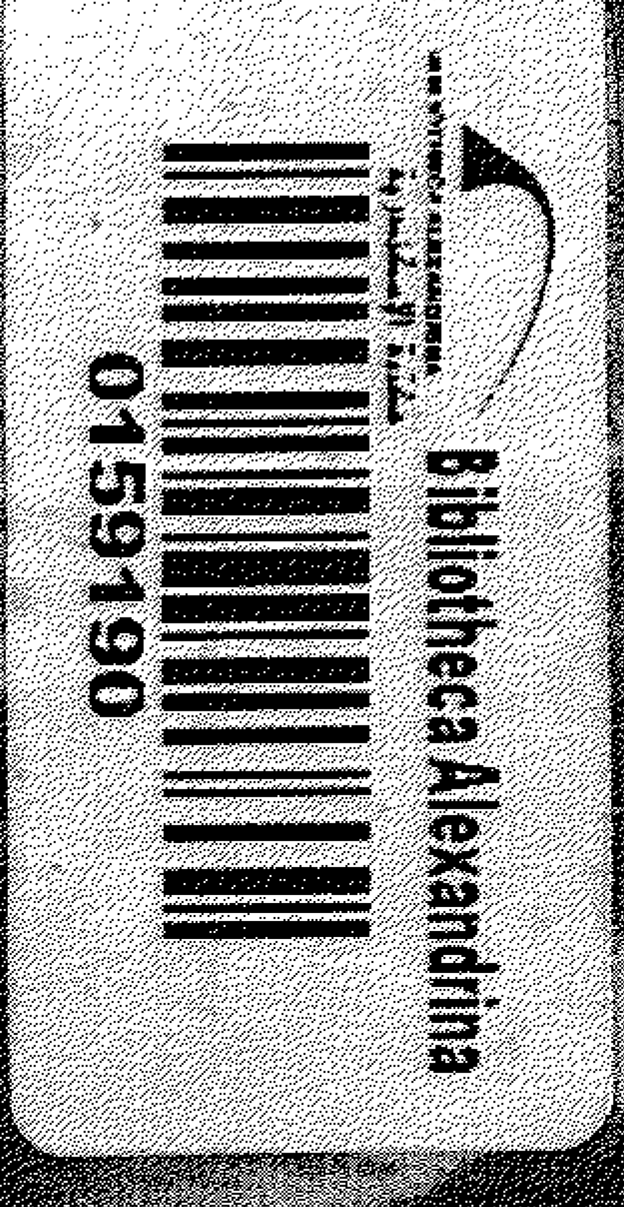


خطر الحرب النووية

مركز الدراسات العسكرية

دمشق ١٩٨٥



خطر الحرب النووية

مركز الدراسات العسكرية

دمشق - ١٩٨٥

عنوان الكتاب بالاجنبي :



تقديم

كرس هذا الكتاب من قبل مجلة « الازمنة الحديثة » السوفييتية لبحث خطر الحرب النووية وسباق التسلح . ويحتوي على مقالات لصحفيين وخبراء مختصين في الشؤون السياسية والعسكرية وهي تبين ، بالاعتماد على الارقام والحقائق التاريخية مسؤولية الولايات المتحدة الامريكية وحلفائها الامبرياليين في تصعيد التوتر الدولي ، ونشر الهستيريا العسكرية والتهديد بالقوة ، وذلك من اجل الحفاظ على مواقعها التي تزداد في التزعزع يوما بعد يوم نتيجة نضال قوى التقدم والاشتراكية وحركات التحرر الوطني .

ومن ناحية اخرى ، تبين الجهود والمساعي التي يبذلها الاتحاد السوفييتي من اجل درء اخطار الحرب النووية التي تهدد العالم بالفناء وتحقيق الانفراج الدولي .

كما يتضمن بحثا مستقلا بعنوان « الشتاء النووي » أعد من قبل مركز الدراسات العسكرية يشرح طبيعة الحالة في الكرة الارضية بعد تعرضها لحرب نووية شاملة بين القوتين العظميين وحلفائهما ، والخسائر البشرية التي تصل الى ٣٠ ــ ٥٠٪ من سكان العالم .

ونظرا لاهمية الموضوعين اللذين يتطرق اليهما هذا الكتاب ، يضع مركز الدراسات العسكرية هذه الدراسة الوافية بين أيدي قرائه من ضباط القوات المسلحة .

دمشق ــ شباط ١٩٨٥

مركز الدراسات العسكرية

أولا ــ الخطر النووي

المقدمة

يكرس ملحق مجلة « الازمنة الحديثة » للمشكلة التي تقلق في الوقت الحاضر البشرية جمعاء . ألا وهي مشكلة خطر الحرب النووية والتدابير المتعنفة بتلافيها .

فمنذ آب عام ١٩٤٥ عندما انهالت على هيروشيما وناغازاكي القنبلتان الذريتان ــ والكرة الارضية تتعرض لخطر مميت اذ ظهرت اكثر الاسلحة التدميرية التي عرفها التاريخ في أيدي الامبريالية الاميركية . فجعلت واشنطن من القنبلة الذرية وسيلة ضغط لتمرير سياستها الخارجية ، فوضعت الزعامة الاميركية بهذا شحنة نووية تحت كوكبنا . ويشهد تاريخ مابعد الحرب امثلة عديدة على التهديد النووي الذي حاولت الولايات المتحدة الاميركية عن طريقه فرض ارادتها على الشعوب ، وبالتالي اقامة السلام حسب المفهوم الاميركي . وجرى في أركانات الجيش الاميركي وسيجري اعداد خطط لهجوم نووي على الاتحاد السوفييتي والاقطار الاخرى التي عبرت عن رفضها لما تمليه الولايات المتحدة ولسياسة فرض الاذعان التي تنتهجها .

وما من احد يدري ماسيحل بالبشرية اذا لم يحبط الاتحاد السوفييتي خطط الهيمنة لواشنطن . لقد وضع كسر الاحتكار النووي للولايات المتحدة حدا لغطرسة البنتاغون ، غير ان الاستراتيجية النووية الاميركية لم تتبدل ورافق السنوات التي تلاحقت الواحدة بعد الاخرى ازدياد متواصل في حجم الترسانة النووية للبنتاغون على أمل تامين النصر للولايات المتحدة في حرب نووية ما .

واقدمت ادارة رونالدريغان على خطوة أخرى في طريق تصعيد الجنون النووي اذ ضاعفت وبشكل هائل من مخزن وسائط التدمير الشامل وتبنت مفاهيم الحروب النووية « المحدودة » و « المتواصلة » مما يشير الى انه يجري

في واشنطن الاعداد اكثر مما كان عليه الحال في الماضي لتوجيه الضربة الاولى وفرض السياسة بالقوة وتمريرها لتصبح أمر واقعا .

ويجري الآن في الغرب الترويج لنظرية الحفاظ على الحياة بعد حرب نووية . ويزعمون ان تبادل الضربات النووية ليس مرعبا الى الحد الذي يتصوره الناس ويغفلون الحديث عن مستقبل للبشرية يسوده السلام .

وما من شك ان لدى الاطباء والعلماء البيولوجيين ما يكفي من الدلائل الملموسة لاثبات أن مدينتنا وحضارتنا اعجز من ان تتحمل كارثة حرب نووية شاملة . لقد عبّر العالم أجمع عن استجابة سريعة لنداء ل.ا. بريجينيف حول تشكيل لجنة دولية موثوق بها وذات صلاحيات واسعة في الاشراف على انتشار الاسلحة الاستراتيجية حيث بين الضرورة الملحة لتفادي كارثة نووية عندما أعلن « ان على الشعوب ان تدرك حقيقة الآثار المدمرة التي يمكن لحرب نووية ان تلحقها بالانسانية » .

ان حركة انصار المناهضة للحرب ، في جميع القارات لخير شاهد على ان الناس يدركون كم هو كبير خطر الحرب النووية وكم هي مهمة التصدي لمنعها عاجلة لاتقبل التأجيل .

لكن ماهو السبيل لايقاف سباق التسلح النووي وجعله يسير الى الوراء. الحد من الاسلحة النووية أولا ، ثم اتلاف المخزون منها في نهاية المطاف ثانيا ؟ ان على الدول العظمى الخمس الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفييتي، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، والصين الشعبية تقع الرسالة التاريخية لخدمة الانسانية الا وهي تنفيذ أولى المهام .

لقد خاض الاتحاد السوفييتي منذ اللحظة الاولى لظهور السلاح النووي صراعا متواصلا ودون كلل لمنعه ، وكان من السهل أكثر في مطلع القرن النووي وضع حد له وقبره في المهد ، لكن الامبريالية الاميركية عرقلت ذلك . ومع كل جولة في سباق التسلح ، اضحت مهمة الحد من التضخم السريع للترسانة النووية معقدة وغير قابلة للتأجيل. وتقدم الاتحاد السوفييتي بمبادرات جديدة

الواحدة تلو الاخرى من منطق مالهذا الموضوع من اهمية ومن موقع المسؤولية التي يجب ان تضطلع بها سياسة دولة عظمى .

وتقترح موسكو بصبر واستمرار على الدول النووية العظمى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الاميركية التوصل الى اتفاق لايجاد سبل تمنع حربا نووية لانه وكما اشار ل.أ. بريجنيف لاتوجد في الوقت الحاضر مهمة لها الاولوية على مهمة الدفاع عن السلام » .

* * *

الخطـــوة الاولـــى

(الولايات المتحدة الامريكية وسياسة تصعيد سباق التسلح النووي) :

تركزت أفكار البشرية جمعاء وتوجهت أنظارها في ربيـع عام ١٩٤٥ التاريخي في الوقت الذي كان فيه كل يوم يقرب من ساعة النصر علـى دول المحور الفاشية ـ على الا تتكرر تلك الاحداث المفجعة لاعوام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ التي دفعت المدنية الى شفير الهاوية . كانت أياما تاق فيها الناس الى السكينة والسلام فقد أرهقتهم الحـرب وكلفتهم غاليا ، وكان مجرد الافتراض في أن انسانا ما بمقدوره أن يفكر مجرد تفكير بحرب ابادة جديدة كتلك هو كائن غريب عجيب لايمت لعالمنا بصلة . ومما يدعو للاسف ان هـذا علـى وجه التحديد ماكانت تسعى اليه واشنطن وعلى أعلى المستويات منذ الايام الاولى لنهـاية الحرب العالمية الثانية حيث باشرت « الاعداد لحرب قادمة » .

كما أشار الى ذلك وبوضوح الباحـث الاميركي م.شيري في كتاب حمل العنوان نفسه وكشف فيه عقلية الزعامة الاميركية .

ان السلام الذي أصبح ممكنا وظهرت تباشيره في الافق بفضل انتصارات الاتحاد السوفييتي لم يرق بشكل من الاشكال للامبريالية الاميركية ولم يكـن سحق خصوم الامم المتحدة يعني على الاطلاق بزوغ « العصر الاميركي » . فعلى العكس من ذلك شهد العالم نمو القوى الاشتراكيـة في كل مكان ، حيث وفر القضاء على الفاشية فرصا كبيرة لارساء ديمقراطية حقيقية . ولم يكن بوسع أحد ـ سوى المخبولين ـ ان يتصور ان الشعوب التي قضـت علـى عديد من المزاعم في الهيمنة على العالم يمكن ان تسلم لدعاوى أولئك الذين يسعون جاهدين الى أخذ دورهم واحتلال مكانهم وهم الطغمة المالية واصحاب رؤوس الاموال في الولايات المتحدة . كل هذه الحقائق تجاهلتها واشنطن ولم تتخل على الاطلاق عن فكرة بسط السيطرة الاميركية على العالم . وابدى الزعماء الاميركيون ثقة

كبيرة في نجاح مشاريعهم واضعين نصب أعينهم اللجوء الى أكثر الاسلحة التدميرية التي عرفت على امتداد التاريخ الا وهي القنبلة الذرية .

ولم يعد ذكر القنبلة الذرية يرد في التخطيط الاستراتيجي لواشنطن فقط وانما تعداه الى القضايا السياسية ويقول وزير الدفاع الاميركي هـ . ستيمسون لاحقا وهو يستعيد ذكرياته « لم أسمع أبدا من رئيس الجمهورية أو أي عضو مسؤول في الحكومة من أنه يجب عدم استخدام القنبلة الذرية لاهداف عسكرية » .

وجاء يوم ٢٥ نيسان من عام ١٩٤٥ اذ أسرع هـ . ستيمون ليبلغ الرئيس الجديد للولايات المتحدة هاري ترومان بالرأي الذي تكون لديه موضحا للرئيس « اذا تم حل مشكلة الاستخدام الضروري لهذا السلاح فاننا نستطيع ان نرتب الامور بعد نهاية الحرب بشكل يمكننا من انقاذ السلام وحضارتنا » . ومن وجهة النظر السياسية اوحى وزير الخارجية ج.بيرنس لترومان « يمكن ان توفر القنبلة الذرية لنا امكانية املاء شروطنا في نهاية الحرب وستكون ورقة رابحة في علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتي » . هذا ماتوصل اليه السياسي الاميركي وهكذا ولدت « السياسة الدولية النووية » .

لقد سبق النصر في اوربا اختراع القنبلة الذرية فاختارت حكومة ترومان اليابان لتكون هدفا وحقل تجارب لاستخدام السلاح النووي ، ورتب ستيمسون الامور بعناية في السادس من حزيران عام ١٩٤٥ اذ كانت القوى الجوية للولايات المتحدة الاميركية التي قامت بغارات كثيفة على اليابان تحاول ان تبقى على بعض المناطق غير المدمرة لتشكل سببا وجيها لعرض مدى قوة السلاح الجديد . لمن سيكون العرض ؟ . لم يخف ترومان نواياه فصرح عندما كانت تجرى الاستعدادات لمؤتمر بوتسدام « اذا انفجرت ستكون لدي ولا شك عصا غليظة في وجه أولئك الفتية من الروس واليابانيين » . وهكذا وبلا مواربة . ولا داعي للعودة الى الحديث عن مصير مدينتي هيروشيما وناغازاكي المعروف جيدا ، لكن مايهمنا خطاب ترومان الذي وجهه عبر الاثير يوم الحرق النووي لناغازاكي في ٩ آب ١٩٤٥ اذ أعلن وهو يتحفظ على سر السلاح النووي انه « ستكون لدينا

قواعد عسكرية ضرورية لتأمين مصالحنا على أفضل نحو »، وقدم مفهوما لايقبل التأويل بأن على بلدان شرق وجنوب ـ شرق أوربا الا تكون مناطق لمصالح أي من الدول العظمى . فكان ذلك بمثابة دعوة الانتفاضة « الحزام الامني » على طول الحدود الغربية للاتحاد السوفييتي . وحاولت الولايات المتحدة الاميركية منذ اللحظات الاولى لاكتشافها السلاح النووي تسخيره كوسيلة ضغط على الاتحاد السوفييتي واعلن وزير الخارجية الاميركية بيرنس في السادس من ايلول عام ١٩٤٥ للوفد السوفييتي خلال انعقاد دورة مجلس وزراء خارجية الدول العظمى الاربع في لندن بأنه : اذا لم تتخلوا عن مواقفكم « ساخرج القنبلة النووية من جيبي والقيها عليكم » . ماهذا المزاح الثقيل ؟ . قد نجد الرد عليه وان كان على نطاق محدود من العالم الاميركي الشهير . او منها يمر أحد الذين ساهموا في صنع هذا السلاح اذ ينهي مقالة له . بالعبارات التالية : « ان موقف وزير الخارجية بيرنس المرتبط بالقنبلة الذرية مرفوض على الاطلاق ، اذ من الواضح ان بيرنس يعتقد بامكان استخدام القنبلة كمسدس للحصول على كل شيء نطمح لتحقيقه على صعيد السياسة الدولية . ان هذه الوسيلة لاتصلح لذلك » ، غير ان تهديدات بيرنس وسواها لم تكن ثرثرة وتصريحات لا أساس لها . فكبار القادة العسكريين الاميركيين يعدون الخطط المحددة لاستخدام مادفعوه الى ترسانتهم النووية ضد الاتحاد السوفييتي تنفيذا لتوجيهات سياسية بطبيعة الحال .

السلاح النووي وسياسة « الردع » :

حمل نهج ادارة ترومان بصدد العلاقات مع الاتحاد السوفييتي اسم « ردع الشيوعية » . .

والهدف النهائي (للردع) هو تدمير النظام الاشتراكي في بلادنا ، ولكن بأية اساليب ؟ ان صاحب مبدأ الردع نفسه ، الديبلوماسي الاميركي الشهير ج. كينان يتذمر جهارا حتى يومنا هذا من أنه في تلك الايام من النصف الثاني للاربعينات لم يتم فهمه كما يجب ، فقد كان يدافع عن أساليب سياسية فيما أوصلت ادارة ترومان « الردع » الى محاولات لحسم الجدل التاريخي بين الرأسمالية والاشتراكية بيد حديدية عن طريق القوة . من هنا وحسب مفهوم

كينان فان سباق التسلح والتناقضات الكثيرة في العلاقات الدولية قادت العالم الى الاشباع بالاسلحة الصاروخية ـ النووية وهو مايؤسف له . لكن التاريخ يقدم عبرة ودروسا كثيرة لمن يريد ان يتعظ .

في عام ١٩٨٢ اماط المؤرخ الاميركي ج. فيديس النشام في كتابه «استراتيجية الردع» عن المطارحات الخفية السابقة لكينان في اعوام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩ أمام لجان عسكرية اميركية على مستوى عال والقى الضوء علـى التناسب في «الردع» والوسائط العسكرية، وكشف المنظر في ذلك الحين للطغمة العسكرية حقائق كانت بالنسبة له لاتقبل الجدل . ومما جاء على لسانه في محاضرة في الكلية الوطنية العسكرية «إن فكرة السلام الدولي بحد ذاتها سابقـة لاوانها وحلم طوباوي عظيم .... ومن وجهة نظري فان السلام بالنسبة لامن الولايات المتحدة أقل نفعا من اللجوء الى القوة في بعض الحالات» . وفي محاضرة اخرى وفي مكان ملائم للغاية ، وهي كلية القوى الجوية للولايات المتحدة الاميركية قال أن نبحث موضوع قيام الولايات المتحدة الاميركية بحرب وقائية ضد الاتحـاد السوفييتي يمكن ان يكون له مايبرره» .

ويجب القول بأن هذه الافكار قد نشأت على تربة ممهدة . فقد التقى الدبلوماسي ر . ميرفي الذي شغل منصبا على جانب عظيم من الاهمية في الولايات المتحدة تلك الايام مع الجنرال ج. باتون الذي حاز على شهرة كبيرة كقائد عسكري اميركي وتميز «بنظرات حادة» كما وصفه ميرفي فاستفسر منه : هل لدينا فرصة في التقدم الى موسكو ؟ . وكانت اجابة الجنرال الذي اصابه غرور منصـب الحاكم العسكري لمقاطعة بافاريا انه يمكن تحقيق ذلك في ثلاثين يوما .

كانت هذه الاجابة تعبر عن حمى الروح العسكرية التي طغت في الولايات المتحدة بدافع من توجيهات الزعامة السياسية في وقت كان العالم يتشوق فيه الى السـلام .

لقد دأبت الادارات الاميركية المتتالية على الايعاز للعسكريين لاعداد خطط الحرب ضد الاتحاد السوفييتي واعطت الاولوية في ذلك لعدوان نووي مباغت. وتكشف هذه النوايا على نحو واضح في ١٨ ايلـول عام ١٩٤٥ عنـدما

صادقت لجنة من رؤساء اركانات الولايات المتحدة على التوجيه رقم١٤٩٦/٢ « اسس صياغة السياسة العسكرية » وفي ٩ تشرين الاول عام ١٩٤٥ على التوجيه رقم ١٥١٨ « المفهوم الاستراتيجي وخطة استخدام القوات المسلحة للولايات المتحدة » ، وجرى فيهما تسمية العدو على انه الاتحاد السوفييتي الذي ينبغي شن الحرب ضده . لقد تضمن التوجيه رقم ١٤٩٦/٢ مبدأ القيام « بالضربة الاولى » .وفي ٣ تشرين الثاني عام ١٩٤٥ اوردت لجنة الاستخبارات المتحدة في الوثيقة رقم ٣٢٩ اسم عشرين مدينة سوفييتية على انها اهداف للغارات النووية وجاء في مقدمة هذه المدن العاصمة موسكو ، وشكل تعداد هذه المدن في ذلك الوقت ١٣ مليون نسمة .

كانت الضمانة للاركانات الاميركية العليا تتمثل بفائض المخزون النووي ضد الاتحاد السوفييتي ، وتم انتظر حسب خطة « شاروبتر » التي جرى اعدادها في أواسط عام ١٩٤٨ القاء ١٣٣ قنبلة ذرية على ٧٠ مدينة سوفييتية هذه المرة بما في ذلك ٨ قنابل على موسكو و ٧ قنابل على لينينغراد . وكان على ٦ر٧ مليون مواطن سوفييتي ان يلقوا حتفهم في الشهر الاول من الحرب من اصل ٢٨ مليون نسمة يشكلون تعداد هذه المدن السبعين حسب ماورد في الخطط العامة للاركان العسكرية الاميركية . هذا ماكانت تمثله « سياسة الردع » للشيوعية في ذلك الحين ، وما قادت اليه من تطور في مستوى العتاد العسكري في الوقت الراهن .

وفي تقرير قدم لترومان في ٢٤ ايلول عام ١٩٤٦ لخص معاونه كليفورد آراء الزعامة في الولايات المتحدة الاميركية ومما جاء فيه « يتعين على الولايات المتحدة ان تستعد لخوض حرب نووية وبكتريولوجية ... وستكون الحرب ضد الاتحاد السوفييتي اكثر « شمولية » ورعبا من اية حرب جرت في الماضي لذا يجب العمل وباستمرار على دعم برامج التسليح لانتاج انواع جديدة من الاسلحة ... » . ووافق ترومان على ماجاء في مذكرة كليفورد واوعز ان يوكل اليه أمر كافة نسخها العشرة واوضح لكليفورد أنه « يجب التستر عليها فالمادة التي انطوت عليها من الخطورة بمكان بحيث لو تكشفت الآن سيكون لها

اثر على درجة كبيرة من الخطورة على محاولاتنا في اقامة اية علاقات معالاتحاد السوفييتي وعندها لن ينفع الندم » . واقفل على الوثيقة ، لكن نهج الولايات المتحدة الاميركية على صعيد السياسة الخارجية محال اخفاؤه ، فالعالم يحكم على واشنطن من خلال ممارساتها .

الحرب بايد غريبة :

ان خطط العدوان ضد الاتحاد السوفييتي مهما بدت جذابة في اعين الطغمة العسكرية الاميركية وخصوصا قيادة القوى الجوية الاستراتيجية للولايات المتحدة فان الآفاق المنظورة لسحق بلادنا بضربات نووية بدت مثبطة للعزائم . لقد كان للولايات المتحدة احتكار مؤقت وقصير الاجل للسلاحالنووي، غير انه لم يكن بالامكان تجاهل عدم التكافؤ عند اجراء مقارنة بين الطاقات العسكرية لاكبر دولتين عظميين في العصر الحديث . وجرى في الاركاناتالاميركية اعادة الحساب لمختلف حالات العدوان على الاتحاد السوفييتي وكانتالنتيجة واحدة وهي ان قاذفات القنابل النووية ستلحق اضرارا بالاتحاد السوفييتي (اختلفت وجهات النظر في تقدير الآثار المحتملة التي ستخلفها) ، لكنها لن تحقق النصر للولايات المتحدة ، وعلى عكس ذلك فان حربا تشنها الولايات المتحدة ستؤدي الى وصول القوات المسلحة السوفييتية للمحيطين الاطلسي والهندي ، فيما ستدمر القوات الجوية السوفييتية « حاملة الطائرات التي لاتغرق » للولايات المتحدة الا وهي الجزر البريطانية .

واكثر من ذلك فقد عكس التخطيط الاستراتيجي الامريكي ثنائيةالاقطاب في مرحلة ما بعد الحرب ، في ذلك الوقت وبالتالي فان المخاطرة بعدوان ستقع تبعاته وبشكل رئيسي على كاهل الولايات المتحدة وحدها وهذا مايتعارض وبشكل جوهري ايضا مع تقاليد السياسة الاميركية « التوازن القوى » وهي الحرب باياد غريبة .

لقد فرضت هذه التصورات نفسها على التخطيط للحرب واصبحت الادارات الإميركية تلح على أنه يجب أن تكون لابعاد الحرب ضد الاتحاد السوفييتي تحالفا دوليا تشغل فيه الولايات المتحدة الامريكية .

مواقع متقدمة من خط النار الاول وبحيث يجب ان يكون لهذا التحالف العدواني تفوقا عسكريا حاسما على الاتحاد السوفييتي .

وعلى وقع طبول الاستنفار للحرب (كانت القاذفات الاستراتيجية الاميركية قد عادت في ١٩٤٨ الى قواعد لها في انكلترا) تمت ولادة حلف شمال الاطلسي وشرعت الولايات المتحدة في تطويق الاتحاد السوفييتي بسلسلة من القواعد العسكرية ودخل الغرب شوط سباق التسلح .

ومن غير المعروف كيف كان يمكن للاحداث ان تجرى لاحقا المفخرة العظيمة للعلم والتكنولوجية السوفييتيين حيث اعلن في ايلول ١٩٤٩ عن امتلاك السلاح النووي الذي وفر الضمانة والامن البلدان الاشتراكية بعد ان وضع حدا للابتزاز النووي الاميركي .

وعلى أثر ذلك ارتفعت أصوات عدد غير قليل من العقلاء في الغرب الى ايجاد سبل لكبح سباق التسلح واعطوا الاولوية في ذلك السلاح النووي ، ولقيت اقتراحات الاتحاد السوفييتي المتعلقة بخطره ثم تحريمه نهائيا آذانا صاغية لديهم ، ولكن دون جدوى .

لقد كان رد واشنطن - كما تبين لنا الآن - اصدار التوجيه المشؤوم المنذر بالسوء « س.ن.ب - ٦٨ » في عام ١٩٥٠ الذي استهدف تصعيد الولايات المتحدة الاميركية لسباق التسلح وتكديس السلاح النووي . وورد فيه : « هناك اقتراح بان نعلن اننا لن نكون البادئين باستخدام الاسلحة النووية الا كرد على استخدام العدو لها أولا ... اننا لانستطيع التصريح بمثل هذا الاعلان ولن نكف عن السعي لتحقيق اهدافنا » . وبقيت هذه الاهداف كما كانت عليه في الماضي وهي شن حرب على الاتحاد السوفييتي ، وترتب عن التحضير لهذه الحرب حسب توجيه « س.ن.ب - ٦٨ » زيادة الميزانية العسكرية للولايات المتحدة الى خمسين مليار دولار كحد ادنى ، أي زيادة الاعتمادات العسكرية في ذلك الحين بمقدار أربع مرات .

وكمثال ، فان نموذجا للعمل في حال قيام الحرب يتضح من خطة « درب شوت » . التي تم اعدادها في آن واحد تقريبا مع توجيه « س.ن.ب-٦٨ » .

وقد روعي حسب هذه الخطة دفع القوات المسلحة الاميركية وحلفائها بتعداد يصل لعشرين مليون جندي مجهزين على افضل وجه ضد الاتحاد السوفييتي والقاء ٣٠٠ قنبلة نووية و ٢٥٠ الف طن من القنابل التقليدية في الضربة الاولى لتدمير ٨٥٪ من مجهود الصناعة السوفييتية . وعكف الاستراتيجيون الاميركيون مطولا على دراسة المراحل الاربع لخوض الحرب حسب خطة « درب شوت » .

وكانت المرحلة الاخيرة تقضي باحتلال الاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية وجرى تحديد العدد المطلوب من قوات الاحتلال الاميركية فكان ٣٨ فرقة منها ٢٣ فرقة للتمركز فوق الاراضي السوفييتية مباشرة ، وعكفوا ايضا على اختيار مدينة لكل فرقة احتلال اميركية في الاتحاد السوفييتي، ولكي يجري كل شيء حسب الخطة تم تحديد الاول من كانون الثاني عام ١٩٥٧ على وجه التقريب ليكون بداية لهذه الحرب .

وبطبيعة الحال كان لزاما الاسراع في سباق التسلح للاعداد لحرب لها مثل هذه الابعاد ، غير ان حكومة ترومان لم تستطع ان تقدم اية حجة لصالح هذا السباق ، اللهم فقرات دعائية واهية عن « خطر سوفييتي » . وشكلت الحرب في كوريا التي نشبت في هذه الظروف بتحريض خفي من واشنطن هدية لاولئك الذين سعوا للاسراع باعادة تسليح الغرب في مواجهة الاتحاد السوفييتي. وكما أعلن المؤرخ الاميركي البروفسور ج . غيديس في كتابه « استراتيجية الردع » فان — « كوريا غيرت كل شيء بعد ان سببت الصدمة — التي لامفر منها — لتحويل اعتمادات ميزانية س.ن.ب — ٦٨ من مجال النظرية الى دائرة ضرورة التطبيق العملي » . وصرح أشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة في اجتماع وزاري في ١٤ تموز عام ١٩٥١ : « ان على رئيس الجمهورية المطالبة بمزيد من الاموال واذا كان السؤال المطروح هو المطالبة باقل او اكثر فانه يتعين عليه طلب المزيد » . والنتائج الاجمالية لذلك معروفة للجميع حيث ازداد الانفاق العسكري للولايات المتحدة من ١٣٫٥ مليار دولار عام ١٩٥٠ الى ٢٢٫٣ ثم ٤٤ ثم ٥٠٫٤ مليار دولار خلال السنوات الثلاث اللاحقة وعلى التوالي،

اي انه وصل للمستوى الذي اخذ بالاعتبار عند اعداد توجيه«س.ن.ب ــ ٦٨» وبدافع من العدوان الاميركي في كوريا نشطت الصناعة العسكرية في الولايات المتحدة وفي دول حلف الناتو على حد سواء ، غير ان هذه الحرب خلفت معضلات تراكمت يوما بعد يوم تعذر على واشنطن ايجاد الحلول لها اذ اسفر « العمل البونيسي » لترومان عن صراع مسلح له ابعاد كبيرة قيد على نحو متزايد موارد الولايات المتحدة . وعلى الرغم مما اشيع في واشنطن عن مساهمة القوات المسلحة لعديد من دول حلف الناتو في الحرب الكورية فان الولايات المتحدة في واقع الحال خاضت هذه الحرب وحدها وتحملت ماترتب عنها من اعباء وخسائر بشرية . وهكذا فان مبدأ « توازن القوى » ، اي ــ استخدام الآخرين للمصالح الذاتية ــ الذي بدا براقا على الورق قد تصدع ، فأين المخرج ؟ كان قائد القوات الاميركية في الشرق الاقصى الجنرال د.ماك آرثر يتحرق شوقا لتوسيع ابعاد الحرب فاصطدم برفض ترومان ، واعفائه له من منصبه . وفي غمرة الجدل الذي اثر لاحقا في واشنطن عرض الجنرال و.بريدلي ممثل لجنة رؤساء الاركان باختصار موقف الحكومة : « حبذا لو اتفق انه لم تحصل تلك الحرب لافي ذلك المكان والزمان ولا مع ذلك العدو » .

وتتضح من وثائق هاري ترومان التي نشرت عام ١٩٨٠ العوامل التي اخذها بالاعتبار في موقفه ضد مقترحات ماك آرثر ومما جاء في ملاحظة له دونها في نيسان عام ١٩٥٤ « لنفترض ان القائد العام (رئيس الولايات المتحدة الاميركية) تنازل لجنرالاته عن صلاحياته ولم يكن لدى معظمهم تصور للموقف العام ... فما الذي سيحصل ؟ سيقول الجنرالات ، عدة قنابل (نووية)على منشوريا ويكون بعدها النصر على العرق الاصفر . ولكن ولتحقيق النتائج المرجوة لابد من تدمير بكين،شانغهاي ، كانتون ، موكدين ، دالني، فلاديفوستوك، سيبيريا الوسطى في مناطق أولان أودى وبحيرة بايكال ، اي ستبدو وكأنها أعمال من جانب واحد للولايات المتحدة،وعندها ينطلق الروس الى بحر الشمال وبحر المانش ... ولن يكون بوسع احد ايقافهم . ستزيل عن وجه البسيطة في الشرق هذه المدن الصينية الكبيرة جدا بعد قتل ٢٥ مليون من النساء والاطفال والمدنيين الابرياء ، اي سنكون امام حرب عالمية ثالثة دون اي حليف،

فيما ستكون تحت السيطرة الروسية أوربا الوسطى بكاملها ويحتمل انتكون هناك ايضا تركيا ، اليونان ، ايطاليا ، شمالي افريقيا ومناطق الشرق الاوسط الغنية بالنفط ... ببساطة لم يكن بوسعي البدء بحرب عالمية ثالثة .

ان وقفة تامل توضح بان ترومان كان صريحا وصادقا مع نفسهفييومياته هذه اذ من المستحيل حسب وجهة نظره الانتقال من الحرب الكورية المحدودة الى حرب عالمية ثالثة لاتستطيع الولايات المتحدة الامريكية الفوز فيها بالنصر الذي يتطلب منها ومن حلفائها الاعداد اكثر فاكثر وهي معضلـة ورثتها ادارة دوايت ايزنهاور التي وصلت للسلطة في شباط عام ١٩٥٣ .

مبدا « الانتقام الجماعي » :

سارعت حكومة ايزنهاور لاحلال السلام في كوريا لاطلاق يديها من اغلال الحرب التي استنفذت الكثير من مواردها . واستنادا لكلمات المؤرخ العسكري الامريكي الشهير البروفسور آر . ويهلي فانه « اختفت من الوجود آمال تفوق في مجال الاسلحة النووية للولايات المتحدة الامريكية على الاتحاد السـوفييتي وخابت ظنون الذين اعدوا توجيه س.ن.ب ـ ٦٨ نظرا للتعبئة العامة لما كان يجري في كوريا وما رافقها من استعدادات عسكرية كبيرة » .

وفي غمرة التفاؤل بما يمكن تحقيقه شرعت ادارة ايزنهاور في اتخاذ «النهج الجديد» على صعيد التخطيط الاستراتيجي وبناء القوات المسلحة استند على قناعة واشنطن الراسخة في ان الولايات المتحدة الامريكية مكان الصدارة في المجال العلمي ـ التقني .

وظهرت في عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ وسائط حديثة مثل قاذفة القنابـل الاستراتيجية «ب ـ ٥٢» الحاملة للاسلحة الحرارية النووية وادخلـت في الترسانة اسلحة نووية « تكتيكية » . وكانت ادارة ترومان حتى في اشد مرحلة من مراحل الهزائم المريرة للقوات الامريكية في كوريا لم تقرر اللجوء الىالسلاح النووي غير ان التوجيه « س.ن.ب ـ ٢/١٦٢ » الذي صادق عليه ايزنهاور في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩٥٣ اخذ بالاعتبار استخدام الاسلحة الذرية حتى في الحرب المحدودة .

وتركزت أكثر جهود ادارة ايزنهاور التي اتسمت بالجدية على الزام أصدقائها في الاحلاف العدوانية على تحمل اعباء التسليح في نهاية الامر ودفعهم عند الضرورة الى الخط الاول للجبهة . وتم التشديد في التوجيه «س.ن.ب ـ ٢/١٦٢ » على ان الولايات المتحدة الامريكية « لاتستطيع تأمين احتياجاتها الدفاعية مهما كان الثمن الذي تدفعه باهظا دون دعم من الحلفاء » . ولا حاجة لاقناع الاوربيين الغربيين ان الولايات المتحدة بدات بنشر الاسلحة النووية التكتيكية بين ظهرانيهم منذ عام ١٩٥٣ . وسئل الجنرال آ . غريونتير القائد العام لقوات حلف شمالي الاطلسي في أوروبا في ذلك الحين علانية عما اذا كانت الولايات المتحدة الامريكية تنوي ان تأخذ على عاتقها مسؤولية اشعال حرب نووية ، « فأجاب الجنرال برباطة جاش » : « نعم هذا صحيح تماما ، الغرب يأخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن نفسه مادمنا لانملك امكانيات الدفاع... بانواع الاسلحة التقليدية » .

وتناول كثير من الزعماء الامريكيين علانية تفسير مفاهيم عن «الدفاع» و « الحماية » من الاتحاد السوفييتي . واستبعد ايزنهاور نفسه في مؤتمر صحفي عام ١٩٥٤ الاعداد لاي خطط عدوانية وقال صراحة : « ان حربا وقائية في الوقت الراهن مستحيلة وبصراحة فلن اصغي لاي كان اذا ماجاءني للحديث عنها » وعلى نقيض هذا تماما رفع ايزنهاور في العام نفسه مذكرة مذيلةبتوقيعه الى وزير الخارجية الامريكية جون فوستردالاس جاء فيها « يتعين ان تكون بجاهزية فورية لالحاق الخسائر بالعدو أكثر مما يمكن له ان يأمل في انزالها بنا ، وفي هذا يكمن الردع ، غير انه كان السباق للحفاظ على هذا المبدأ سيطول بسبب النفقات المادية المطلوبة فاننا سنجد انفسنا مرغمين على دخول الحرب او فرض ادارة ديكتاتورية . وفي هذه الظروف يجب ان نتبنى قرار القيام بواجبنا تجاه الاجيال القادمة في شن الحرب وفي اللحظة المواتية بالنسبة لنا ».

وعلى فرض انه تسنى لهذه المذكرة وغيرها من مواعظ ايزنهاور ان تخرج من سجل المحفوظات السرية وتشهد النور في بداية الثمانينات وليس في الخمسينات الا تشكل عندئذ دليلا واضحا على ان واشنطن كانت تعد لاشعال

الحرب النووية ضد الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكيــة تنفيذا للمبدأ الاستراتيجي « الانتقام الجماعي » .

والاعتراف المعلــن أكثر من غيره بصدد هــذا المبدأ هــو ماقدمه جون فوستردالاس أمام لجنة العلاقات الدولية عقــد في نيويورك في كانون الثــاني عام ١٩٥٤ حيث قال : « يعتمد تنفيذ أهم قرار من القرارات التي اتخلت . ـ وقبل كل شيء ـ على قدرتنا الهائلة في الانتقام السريع »والواضح انه يشير الى القوى الجوية الامريكية الاستراتيجية القادرة على توجيه ضربات نووية كثيفة في المكان والزمان اللذين نختارهما واشنطن .

وبطبيعة الحال اعطت ادارة ايزنهاور لمبدأ « الانتقام الجماعي » مفهوم التدبير « الدفاعي » . غير أنه وفي وقت متأخر بعض الشيء اشــار المؤرخ العسكري الامريكي ب.برودى الذي عرف عنه بعد النظر (وكان قبل ذلــك الوقت قد اصبح في تعداد المحاربين القدماء الذين اهتموا بالتحليل الاستراتيجي) في مؤلفه الضخم « الاستراتيجيــة في عصر الصواريــخ » الى ان « الانتقام الجماعي » والحرب الوقائية مفهومان متطابقان وشدد في هذا الكتاب على ان « اعداد قواتنا ومبدأ استخدامها للردع ينبثقان دائما ـ على مايبدو ـ مــن مطلب أساسي جرى تكييفه مسبقا وبتكتم يقضي ان هذه القوات ستكــون بشكل رئيســي سليمة ومحافظ عليها لحظة الحاجة لاستخدامها وهذا يعني شيئا واحدا فقط هو القناعة الراسخة في ان العدو لن يباغتنا واننا سنقضي عليه نحن اولا وليس العكس » .

وكان النزاع مع الاتحاد الســوفييتي الذي ماانفك ايزنهاور ودالاس أخذه بالاعتبار والحديث عنه لايحمل طابع المهاونة والحلول الوسط . ومما قالــه ايزنهاور في احد المؤتمرات الصحفية « ان من لايعترف بأن الصراع العظيم في وقتنا الراهن ابعادا ايديولوجية يجهل كل شيء». وحسب رأي دالاس لايوجد مكانا « للحياد » في هذا الصراع الايديولوجي اذ تحدث عام ١٩٥٥ عن « مفهوم فات أوانه » والحق ذلك عام ١٩٥٦ بالقول «وهو أيضا مفهوم فاسد محدود الافق» واستكمل توضيح ذلك في مقابلة مع مجلة « لايف » الامريكية فقال : (ويتمثل أفضل اسلوب لادارة الشؤون الخارجية في سياسة « التوازن علــى حافــة

الحرب ») . وعلى العموم فان مبدأ « الانتقام الجماعي » واقحام كل من ايزنهاور ودالاس نفسيهما في مجال الايديولوجية كان ممكنا لسبب واحد فقط هو ان واشنطن عاشت على امل ان الولايات المتحدة الامريكية ستكون في حال اعلان الحرب بمنأى عن اية ضربة كرد فعل ، اذ رسمت الزعامة الامريكية لنفسها في ذلك الحين صورة مطمئنة لسير الاحداث في المستقبل ، فلديها تفوق ساحق في الاسلحة النووية ووسائط نقلها تهدد بدمار الاتحاد السوفييتي من الجو فيما يتحمل الحلفاء عبىء العمليات البرية التي سيترتب عنها ضحايا بدون شك وبالمناسبة فان ايزنهاور لم يتحفظ على هذا النموذج من الاعمال حينما دخل في مناظرة عن سياسة الولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٥٧ فقال « ان جهودنا يجب ان توجه نحو تشكيل قوات محليـــة في مختلف اقطار العالم الحر لحفظ النظام وحراسة الحدود » ان الولايات المتحدة نفسها ستقدم العون المادي لكن من المهم ان يفهم الجميع ان : « الولايات المتحدة الامريكية لاتستطيع ان تتصرف باسلوب الماضي في الحفاظ على قوات لها في كافة ارجاء العالم » . وردا علـى سؤال : هل يعني هذا ان العبىء الرئيسي لحرب في المستقبل سيقع على كاهل الدول الاخرى ؟ اجاب ايزنهاور بكل هدوء : « هنا يكمن جوهر كل ماتتخذه من تدابير » .

وآلت حسابات من تبنوا مبدأ « الانتقام الجماعي » الى فشل ذريع اذ كيف يمكن ان تكون النتائج في حالة مواجهة خطر مميت ؟ هل بامكان موسكو ـ على سبيل المثال ـ السماح بأن تكون أراضي الاتحاد السوفييتي مجالا لتحليق طائرات التجسس يو ـ ٢ الذي بدأ عام ١٩٥٦ . لقد وجد الاتحـاد السوفييتي نفسه مضطرا لاتخاذ تدابير حاسمة لتعزيز أمنه ، فامتلك السلاح النووي عام ١٩٥٣ وافتتح عصر الانطلاق الى الفضاء عام ١٩٥٧ ، فقضى بذلك على حصانة الولايات المتحدة في عدم التعرض لضربة جوابية التي بنت علـى اساسها استراتيجية « الانتقام الجماعي » وتحولت مقولة دالاس « التوازن على حافة الحرب » في هذه الظروف المستجدة الى مجرد بلاغة كلامية وانظلت تحمل بعض الاخطار .

لقد حان أوان الصحو من ثمالة عميقة

* * *

البوصلة المعطوبة

الاستراتيجية النووية للولايات المتحدة الاميركية :

ان « أمن العالم أجمع » كما يصاغ في الولايات المتحدة الاميركية هو الهدف العام للسياسة العسكرية والاستراتيجية النووية لامريكا . ونضيف التفسير الرسمي لهذا الهدف « السلام عن طريق القوة » . الى ماذا يؤدي تحقيقه ؟ هذا مايبينه بوضوح غلاف مجلة يصدرها حلف الناتو ، على الرغم من انه يحتمل ان تكون المجلة ضمنت الشكل الذي يمثل الكرة الارضية مضغوطة بين فكي كماشة الجهود الاميركية « لتامين السلام » فكرة أخرى ، ومرد ذلك الى ان التهديد الاميركي للسلام لم يكن في الاربعينات والخمسينات فقط وانما تعداها لعشرات سنين لاحقة .

وتشكل الفترة الزمنية الفاصلة بين ادارة جون كندي وادارة رونالد ريغان ــ وهي عشرون عاما ــ أكثر مراحل تطور الاستراتيجية النوويةالاميركية خطورة . ويعود سبب ذلك ليس فقط الى أنه تم خلال هذا الوقت تشكيل جهد نووي هائل (لاسيما وانه يجرى الآن الاعداد لبرنامج لاسابقة له فيمواصلة تطويره) وانما لانه جرت في تلك الفترة ولا زالت تجرى الابحاث المتواصلةعن اشكال واساليب الاستخدام القوة النووية مما يزيد اكثر فاكثر من احتمال القيام بمخاطرة تؤدي لكارثة نووية على الرغم من التصريحات الرسمية حول « توطيد دعائم الامن » .

ويجب ان تلبي المفاهيم التي تم اعدادها حسب آراء واشنطن ثلاثة متطلبات رئيسية على الاقل ، أولها تحويل السلاح النووي الى وسيلة مسلم بها في استراتيجية السياسة الخارجية وثانيها استبعاد الولايات المتحدة الاميركية من تعداد الدول التي ستكبد خسائر تترتب عنها نتائج مأساوية اذا

استخدمت هذه الوسيلة بشكل جزئي او على نطاق واسع . وثالثها ايجاد ولو حتى بديل للنصر المرجو نتيجة لاي نزاع وسيكون هذا ثمنا لمجازفة استثنائية عاجلة .

وبطبيعة الحال تبدلت على مدى عشرين عاما كثير من المعطيات على صعيد الموقف الدولي الاستراتيجي بحيث لم يكن بالامكان تجاهل تأثيرها على وجهات النظر الاميركية التي اخذت بالاعتبار التفوق الاميركي في اوائل ومنتصف تلك الحقبة من الزمن وافسحت مكانا للتوازن الاستراتيجي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي . واصبحت القوه الصاروخية ـ النووية بعد ان دفعت الطيران الحامل للاسلحة الذرية للمرتبة الثانية ـ القوة العسكرية الرئيسية للدولتين العظميين ، وتغيرت على نحو مختلف تماما القوى الاستراتيجية لكلا الجانبين من حيث القوام والامكانيات . وفي الوقت الذي كان فيه حسب ماجاء في تقديرات وزير الدفاع الاميركي السابق روبرت ماكنمارا « ستة آلاف قنبلة نووية سوفييتية واميركية عام ١٩٨١ عندما جرى الاعداد لفكرة التكيف المرن مع الاحداث المستجدة فان مايملكه الطرفان في الوقت الراهن هو خمسين الفا من القذائف النووية » .

وعلى فرض ان الارقام التي اعتمد عليها ماكنمارا كانت تقريبية فان الدلائل النوعية للقوة النووية للدولتين العظميين تشير الى اكتساب أهمية كبيرة بالمقارنة مع الدلائل الكمية الى جانب تحولات هامة في مجالات اخرى . ويجب ان ينظر بجدية للتبدل الذي طرأ على الاستراتيجية النووية للولايات المتحدة بانتقالها من مواجهة بسيطة الى « الانتقام الجماعي » ثم الى أساليب أكثر حذقا في استخدام المقدرة النووية ضمن اطر مبدأ « التكيف المرن » . غير ان مايجدر ذكره على الفور هو ان كثيرا من الامور بقيت دون تبديل مثل دور الاستراتيجية النووية في العقيدة العسكرية للولايات المتحدة الاميركية والنهج الذي سارت عليه لاكتساب التفوق على الاتحاد السوفييتي في مجال القوة الاستراتيجية النووية بالمقام الاول ، وأخيرا السعي الى احراز المقدرة على توجيه الضربة الاولى الرادعة مع الحفاظ على جاهزية استخدام السلاح النووي قبل العدو على اقل تقدير .

بطلان المقدمات الاوليه :

هناك ثلاثة تساؤلات يتعين على الاستراتيجيه النووية الاجابة عليهـا . أولها ماهي المهام السياسية والاستراتيجية التي يجب ان تضطلع بها القـوى النووية ؟ وثانيها على اي نحو يجب تنفيذها ؟ وثالثها ماهي الوسائط النووية وبأي قدر يجب ان تستخدم لتنفيذ هذه المهام ؟ . ان الاجابات التي قدمها قادة عسكريون على مستوى رفيع في واشنطن بدءا من ماكنمارا وحتى واينبرغر تشير الى انها كانت متفاوتة للغاية وعبرت عن تقديرات مختلفة (لسبـب او لآخر) للموقف العسكري السياسي وامكانيات الولايات المتحدة الاميركية . ومن المهم التنويه الى ان هذه الاجابات كانت تحمل تناقضاً فيما بينها لسبب انها استندت لمقدمات وافتراضات باطلة . ويتمثل هذا قبل كل شيء في « عدوانية » الاتحاد السوفييتي واحتمال قيامه « بهجوم مفاجيء » . وغني هنا اثبات زيف مثل هذه الادعاءات الاولية ، اذ وقف الاتحاد السوفييتي على راس حكومته ليس فقط ضد فكرة التدمير النووي وانما ضد فكرة العدوان ذاتها ، ولسبب ماظلت فقرة « التهديد السوفييتي »الشغل الشاغل للمفاهيم الاميركية في « الامن القومي » . التي جاء في مقدمتها مفهوم « الردع عن طريق تخويف » الخصم الرئيسي للولايات المتحدة الاميركية على الحلبة الدولية وهو الاتحاد السوفييتي ، وبكلمات اخرى التهديد بتوجيه ضربات نووية « مضمونة النتائج » . ومن حيث الشكل فقط يبدو هذا المفهـوم وكأنه دفاعيا يخلق مبررات لوجود قوة نوويـة هائلة الـى جانب أساليـب مختلفة لاحتمالات استخدامها ، أما من حيث الجوهر فانه لايمنع قيام حرب نووية وانما يؤدي الى اشعالها ، وهو مفوم الحرب النووية بكل مايعنيه . وعلى فرض ان احد الخيارات الرئيسية للولايات المتحدة الاميركية كان يتمثل في توجيه الضربـات النووية اولا وليس ردا على مثل هذه الضربات وتكشفت نوايا واشنطن لدى الاتحاد السوفييتي الذي يعرف مقدما مايعنيه اطلاق « الجن النووي » من السفن الجهنمية في موقف حرج .

ويرتبط الشرط الاولـي الآخر وهو مفهـوم الاستقرار الاستراتيجـي بتصورات خاصة حول التناسب المطلوب في القوى اذ يتعين علـى الولايات

المتحدة الاميركية عدم التنازل للاتحاد السوفييتي على احراز تفوق استراتيجي بحيث لاينجر احد الطرفين وراء اغراءات الضغط أولا على الازرار النووية . وتبدو كافة هذه الامور للوهلة الاولى جديرة بالاحترام ولتقدير فالاستقرار الاستراتيجي ضرورة ملحة في الواقع ، غير ان هناك كلمات وهناك مفاهيم تنطوي عليها هذه الكلمات يقود تحليها الى مدلول واحد فقط وهو ان الاستقرار الاستراتيجي بالنسبة للزعامة الاميركية مرادف للتفوق النووي الاميركي اذ لاتعني عباره « عدم التنازل » للاتحاد السوفييتي تحت اسم الحفاظ على الاستقرار أنهلايجوز التفوق عليه . وبهذا الصدد فقد تمبالفعل تقديماقتراحات تشير بمجملها الى انه يمكن تأمين استقرار وطيد بسيادة اميركية على أهم ميادين النشاط النووي فقط ، وخصوصا في مجال « القوة المضادة » ومناعة « الانظمة الاستراتيجية » ودليلهم على ذلك ان الاستقرار الاستراتيجي الذي توفر في الخمسينات والستينات يعود الفضل فيه الى التفوق النووي الاميركي على وجه التحديد وليس لسبب آخر سواه . غير ان ماحدث بالفعل هو ان الاستقرار الذي ساد العالم في تلك السنين مرده قبل كل شيء الى القوة الدفاعية للاتحاد السوفييتي وأقطار معاهدة وارسو التي شكلت عاملا هاما في ردع المساعي العدوانية للولايات المتحده ، ولم يكن ماحصل لاحقا في ظلظروف التوازن العسكري الاستراتيجي سوى تعزيزا للاستقرار الاستراتيجي ليس أكثر .



(شكل لغلاف مجلة « أمم الناتو الخمسة عشر »)

ان واشنطن غير راغبة في التمسك بقواعد وتقديرات موضوعية ، وتبرز هذه الحقيقة في الحملة الدعائية التي سبقت انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ حيث قام جميع المرشحين بتسليط الاضواء على مسالة احراز تفوق نووي بهدف ممارسة الضغط على الاتحاد السوفييتي حتى في القضايا السياسية زمن السلم . واصبح هذا الموضوع حديث الساعةبالنسبة للزعماء الاميركيين ونورد بعض أقوال بول نيتس رئيس الوفد الاميركي الى مفاوضات الحد من الاسلحة الاستراتيجية وتقليصها في جنيف والتي جاءت عشية وصول الادارة الحالية للسلطة « ان الروس لايرغبون بحرب نووية ، ورغم هذا فان احراز تفوق ساحق عليهم يظل الاسلوب الامثل لتفادي حرب وحماية مصالحنا ... » .

ويبقى الرهان على التفوق الاستراتيجي يتملك عقول المخططين الاستراتيجي في واشنطن ، وما يشيعونه في العلن هو السعي لدرء خطر «تفوق نووي سوفييتي» .

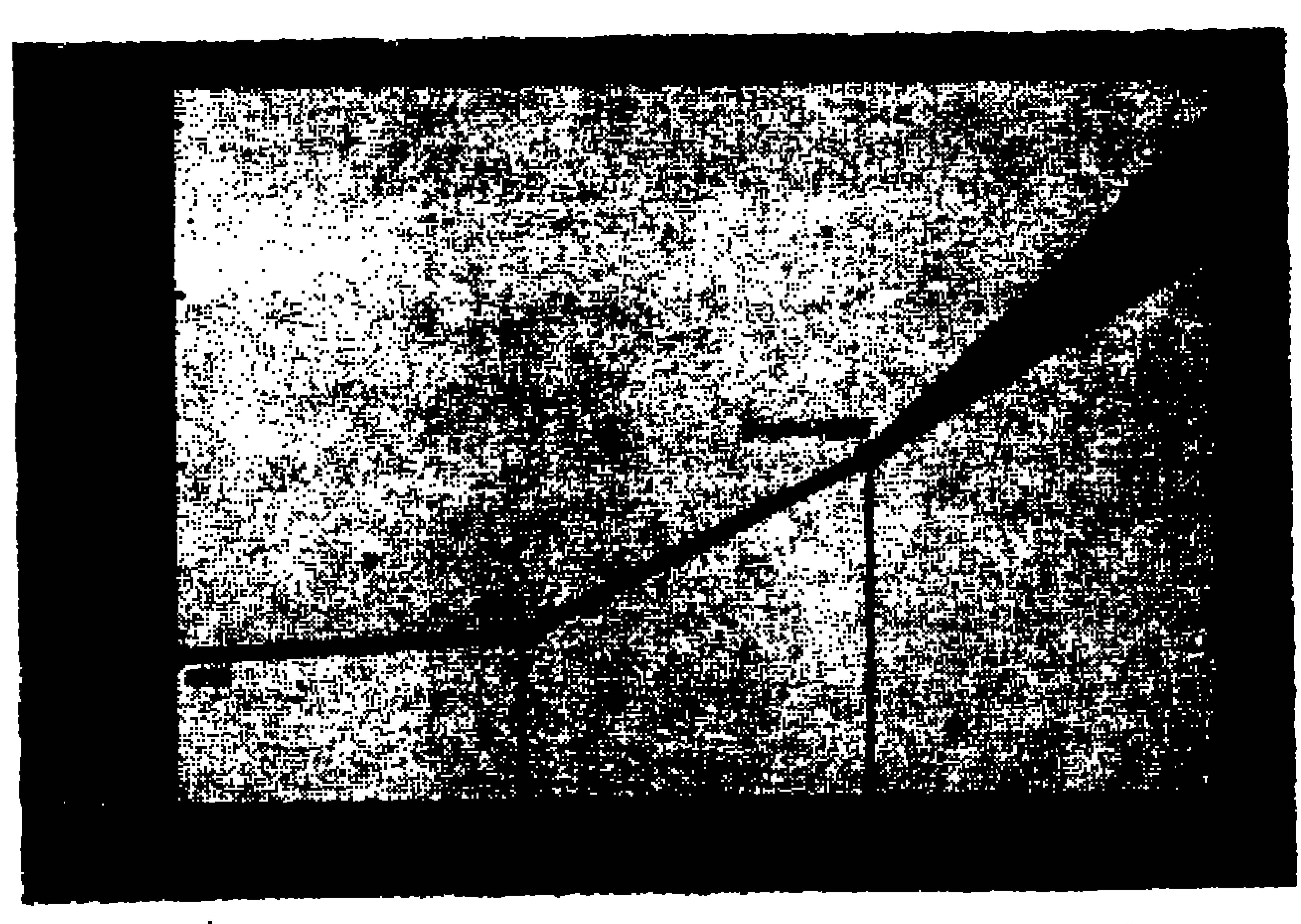
والواضح تماما ان هذا الامر كان كما هو عليه الحال الآن وسيظل كما يبدو ولزمن طويل في المستقبل ذريعة « للف والدوران » حول محاولات جديدة لزيادة التسلح في الولايات المتحدة الاميركية .

وتفضح هذا الافتراض الاولي الذي تبناه جميع من اداروا دفة الحكم في الولايات المتحدة والذين سيعيد لهم الزمن بصيرتهم ، الحجج التي ساقها مسؤولون أميركيون سابقون على درجة كبيرة من الشهرة أمثال ماك جورج باندي ، جورج كينان ، روبرت ماكنمارا وجورج سميث من انه لم يتوفر الآن ولن يتوفر في المستقبل « تفوق » للاتحاد السوفييتي يغامر بنتيجته بحرب نووية وبالتالي فان الاستقرار الاستراتيجي سيظل قائما ، ويقع كثير من اللوم على الزعامة الاميركية الحالية في رفضها تبني مبدأ الا تكون البادئة في اللجوء الى استخدام الاسلحة النووية ولو في القارة الاوربية على اقل تقدير . كلمات حق عادلة ولكن كيف يمكن للاستقرار الاستراتيجي ان يكون في ظل مثل هذا الرفض ؟ .

ان المقدمات الاولية على صعيد الاستراتيجية النووية لواشنطن تنطوي على تناقضات لانها تستند على أساس سياسي قلق غير ثابت الاركان . وتبين

محصلة الاجابات على المسائل المطروحة أعلاه مـن انها تقدم في واقـع الحل مسوغات لاستخدام الاسلحة النووية بأي شكل وعلى اي نطاق وفي اي زمن، وآراء وينبرغر في هذا الصدد واضحة ومحددة بما فيه الكفاية : « يتعين علينا عند قيام الحرب ان نكون بحالة تمكننا من تأمين الدفاع عن مصالحنا الحيوية الهامة بغض النظر عن طبيعة وابعاد هذه الحرب والمنطقة التي تنفذ فيها » .

وفي الوقت نفسـه فان الاستراتيجيـة النووية للولايات المتحدة الاميركية . تتهرب مـن الاجابـة على السؤال الدقيق : ماهي الكمية « الكافيـة » من الوسائط الاستراتيجيـة اللازمة لتنفيـذ المهام التي يتوخاها البيت الابيض والبنتاغون ؟ والذي يبدو هو انها دائما غير « كافية » . وبغض النظر عـن المستوى العالي الذي تم تحقيقه في مجال أسلحة الدمار منذ زمن بعيد فـان المنطلقات الاولية للاستراتيجية الاميركية تسعى الى زيادة القدرة النووية الى مستوى يؤمن لها « الفوز » في حرب نووية تتمثل بتدمير الاتحاد السوفييتي كدولة القرن العشرين وقبل كل شيء القضاء على قواته المسلحـة ومنشآته الصناعية بضربات نووية وبشكل ينال الولايات المتحدة نفسها اقل مايمكن من الضرر يمكنها معه من البقاء والاستمرار .



(شكل بياني للقدرة النووية للقوى الاستراتيجية الهجومية)

هذه هي الحسابات التي عكف مخططوا الاستراتيجية النووية الاميركية عليها لزمن طويل بعد ان توصلوا لقناعة انه بدونها تظل مسالة النصر في حرب نووية أملا باطلا وخيالا بعيد المنال . وتتجه النية في الولايات المتحدة الى الجمع بين بطلان وافلاس الشروط الاولية للاستراتيجية النووية واهدافها التي لايمكن تحقيقها . ونورد كمثال على ذلك الصيغة التي قدمها ك.واينبرغر: « من يرغب في تلافي حرب نووية يجب ان يكون في حالة تمكنه من الظفر بها ».

التدمير المضمون :

تميزت بداية الستينات باستخدام مبدأ « الاستجابة المرنة » ويتلخص جوهره باختصار في انه يتعين على الولايات المتحدة ان تكون جاهزة لخوض الحروب على اختلاف انواعها بدءا من الحروب المحلية والحروب المحدودة (النووية والتقليدية) وانتهاء بحرب نووية شاملة . وتم النظر الى هذه الاخيرة على انها « حالة استثنائية » يلزم تفاديها على حساب « المرونة » في استخدام القوة العسكرية والا فانها ستصبح أمرا لامفر منه . ومرة أخرى تم تقديم الاتحاد السوفييتي على انه المبادر للحرب والولايات المتحدة الاميركية الطرف المدافع الذي سيجد نفسه مرغما على توجيه الضربة « الثانية » (الجوابية فقط) لقد كان كل ذلك خداعا وتضليلا سياسيا فقد دلت الوقائع ان الولايات المتحدة اعدت تدمير الاتحاد السوفييتي ليس بضربات« جوابية» وانما بضربات « سبق » . وقد راعى مفهوم « التدمير المضمون » ان تكون للقوى الاستراتيجية الاميركية القدرة على تدمير ٢٠ ــ ٢٥ بالمئة من سكان الاتحاد السوفييتي بالجملة و ٥٠ بالمئة من صناعاته ، وسرعان مادحضت الممارسة العملية هذه الحسابات ، اذ توفرت في اواسط الستينات لكل عنصر في« الثلاثي» الاستراتيجي للولايات المتحدة وهي الصواريخ الباليستية العابرة للقارات والصواريخ الباليستية في الغواصات واخيرا القاذفات مثل هذه الامكانيات . وصرح وزير الدفاع الاميركي جي.شليزنجر عام ١٩٧٤ انه يمكن للقوى الاستراتيجية الاميركية القضاء على اكثر من ٣٠ بالمئة من سكان الاتحاد السوفييتي وشل اكثر من ٧٥ بالمئة من صناعاته .

ماالحاجة الى هذا التنامي السريع وعلى هذا القدر في امكانيات التدمير الجماعي ؟ فمن جهة تضع الولايات المتحدة باستمرار مئات المدن السوفييتية تحت التهديد النووي ، وحدد أحد الذين يقفون على رأس قائمة المسؤولين في البنتاغون وهو ج.براون عام ١٩٧٨! « التدمير المضمون » على أنه « القدرة في اي وقت على انزال خسارة بالاتحاد السوفييتي بما في ذلك تدمير ٢٠٠ مدينة سوفييتية كبيرة على اقل تقدير . ان التدمير المضمون لقسم كبير من سكان الاتحاد السوفييتي بتوجيه ضربات الى المدن نتيجة لتصعيد الصراع النووي كان وسيظل في صلب عقيدة الاستراتيجية النووية الاميركية . ومن جهة ثانية فان جزءا كبيرا للغاية من المجهود النووي الاميركي موجهة الى الاغراض العسكرية والصناعية في الاتحاد السوفييتي ، حيث بلغ تعدادها حسب آخر خطة استراتيجية متكاملة (س . ا ب ــ ٥ ب) ٤٠٠٠٠ غرضا (فيما كانت عام ١٩٤٩ حوالي ٧٠ غرضا) . وازدادت ترسانة الاسلحة النووية في الولايات المتحدة بشكل هائل لدرجة ان عدد القذائف ذات المهام الاستراتيجية وحدها بلغ في الوقت الحاضر حوالي عشرة آلاف قذيفة (فيما كانت ٥٠ قذيفة فقط عام ١٩٤٨) وهذه ليست نهاية المطاف اذ يجب ان تؤخذ بالحسبان الخطط الرامية الى زيادة التسليح النووي .

« القوة المضادة » والحرب النووية « المحدودة » :

لقد توصلت الزعامة الاميركية في الوقت الحاضر الى قناعة أنه لايمكن الاعتماد فقط على مبدأ « التدمير المضمون » للعدو في ظل توازن القوى الاستراتيجية الطرفين فأولت « القوة المضادة » في الحرب أهمية أكبر ويتمثل هذا في توجيه ضربات انطلاقا من « أصول قواعد اللعبة » التي لم يجر الاتفاق عليها او تم تبنيها بصمت ، فعلى سبيل المثال يتعين على (ضربات « القوة المضادة ») ان توجه لاغراض عسكرية لاغير وان تستهدف ليس فقط الحفاظ على المدن من التدمير وانما تحويل القوة النووية لاداة اكثر فعالية في السياسة.

والفكرة بحد ذاتها ليست جديدة ، فقد دافع ماكنمارا من بداية الستينات عن « حرب القوة المضادة » على أمل تحقيق نجاح فيها ، لكنه اضطر فيما بعد

الى التخلي عنها لقناعته في أن الولايات المتحدة الاميركية في وضعها الراهن من حرمان الاتحاد السوفييتي من اسلحته بمثل هـذه الحرب وبالتالي لايمكن تحقيق الهدف الاساسي المتمثل في منع تدمير اميركا .

لكن فكرة « القوة المضادة » ظلت ماثلة في الاذهان واستمرت تشق لنفسها طريقا حيث اعلن جي. شليزنجر عام ١٩٧٤ عن مفهوم « الحرب الاستراتيجية المحدودة » التي تاخذ بالاعتبار توجيه عدد محدد من الضربات النووية على درجة عالية من الدقة ضد اغراض عسكرية . ومن الواضح ان الحسابات قامت على اساس الفوز في مثل هذه الحالة للحرب . وحيقة الامر ان الولايات المتحدة الاميركية كانت حتى ذلك الحين قد قطعت شوطا بعيدا في اقامة ونشر صواريخ ارضية وبحرية ذات رؤوس منشطرة مما سمح لها بزيادة رصيدها من القذائف النووية الاستراتيجية عدة مرات ، وعملت على رفع دقة الاصابة لهذه الصواريخ بحيث تزيد من ابعاد اغراض التدمير وقامت بنشرها في حفر صاروخية محصنة للغاية . وينطوي اعتراف وزير الدفاع الاميركي السابق ج. براون بهذا الصدد والذي جاء في فترة لاحقة على حقيقة هامة اذ قال : « من الطبيعي ان الصواريخ ذات الرؤوس المنشطرة تشكل سلاحا هاما تتوفر فيه قدرة عالية كسلاح للضربة الاولى وراس رمح للقوة المضاده » .

في مثل هذه الاجواء كانوا في الولايات المتحدة الاميركية يعتبرون انه من « الجائز » وفي اطر محددة تبادل ضربات صاروخية نووية مباشرة بين الاتحاد السوفييتي واميركا آملين انه يمكن انهائه في الوقت المناسب « وفق شروط ملائمة للولايات المتحدة » .

وفي عام ١٩٧٧ صرح رئيس لجنة رؤساء اركان الولايات المتحدة د. براون في هذا الصدد ان « الاستراتيجية النووية للولايات المتحدة تهدف الى الحفاظ على قوة عسكرية قادرة ليس فقط على ردع العـدوان وانما في حالة حدوثه (وهو مادرجت الزعامة الاميركية على استخدام مثل هذه العبارات لاضفاء طابع دفاعي على الاستراتيجيـة النووية) اظهار القـدرة لخوض الحرب في مجالات واسعة صراع والتحكم بتصعيد الحرب وانهائها وفق شروط تمليها الولايات المتحدة » .

ترى ماهي هذه الشروط ؟ ان أهمها تقويض القدرة النووية للاتحاد السوفييتي ولدرجة تفوق بكثير مايمكن ان يلحق بقواهم الذاتية نتيجة ضربة جوابية ووضع الاتحاد السوفييتي امام خطر التدمير اذا لم يستسلم في حين تحافظ الولايات المتحدة على قوة « البقاء » من هنا جاء السعي لتشكيل «قوة مضادة» كبيرة وتم احياء مفهوم « الضربة الاولى » وازداد الاهتمام بتطوير قوى ووسائط الدفاع الاستراتيجي بدءا من الانظمة المضادة للصواريخ والغواصات وانتهاء بتحسين انظمة الدفاع المدني . ولهذا ايضا تم الاعداد لخطط توسيع مجال الحروب النووية « المحدودة » المتمثلة في القيام بضربات فردية « استعراضية » ومن ثم استخدام الاسلحة النووية على نطاق واسع ضد اغراض عسكرية وادارية وصناعية في الاتحاد السوفييتي (باستثناء المدن التي تم الحفاظ على احتياط استراتيجي نووي لتدميرها اثناء الصراع اذا دعت الضرورة لذلك) . واخيرا من هنا جاءت المساعي لخوض الحرب « المحدودة » وبشكل رئيسي في مناطق بعيدة عن اراضي الولايات المتحدة وفي اوربا في المقام الاول للابقاء على اراضيهم بمنآى عن الضربات الجوابية المدمرة . (شكل لتجربة فاشلة على صاروخ بيرشينغ) .

واتضحت أفكار الجمع بين « القوة المضادة الكبيرة والحرب النووية المحدودة » لتأمين « النصر » على هذا الاساس في التوجيه رقم ٥٩ الصادر عن رئيس الولايات المتحدة والذي تمت المصادقة عليه في ٢٥ تموز عام ١٩٨٠ . كان هذا التوجيه يمثل مصلحة ذاتية لاستراتيجية الولايات المتحدة النووية وتمت صياغته على نحو يوحي بالحيلولة دون تحقيق الاتحاد السوفييتي أي نصر فيما كان يهدف في واقع الحال الى تحقيق نصر للولايات المتحدة . واخذ التوجيه بعين الاعتبار حالات مختلفة لتسديد الوسائط الاستراتيجيةالاميركية ضد الاتحاد السوفييتي بحيث زادت من عدد الاهداف التي كانت ٢٥٠٠٠ في اواسط السبعينيات لتصبح الآن ٤٠٠٠٠ غرضا شملت مراكز سياسية وحكومية وقيادات عسكرية في الاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية. لقد اسندت مهام تتعلق ليس فقط بشل القوات المسلحة النووية وانما تعدتها لتشمل القوات المسلحة التقليدية وكل مامن شانه ان يساهم بالمجهود العسكري

حتى في مرحلة مابعد الحرب مثل الصناعات الدفاعية ومصافي النفط وعقـد شبكات السكك الحديدية والمنشات المرتبطة بانتاج الفحم والالمنيوم والاسمنت ومحطات انتاج الطاقة الكهربائية .

لقد تم الترويج في الولايات المتحدة الاميركية للتوجيه رقم ٥٩ وبذلت جهود كبيرة لتقديمه على أنه تطور عادي وطبيعي لمفاهيم الحرب « المحدودة » التي سبق تبنيها وانه موجه بالاساس لتلافي حرب شاملة . لكن نظرة سريعة على الاغراض المستهدفة في الاتحاد السوفييتي تبين عمليا وبشكل محســوس ان هذه الخطط هي تحضير للقضاء على التصدي الفعال الذي يبديه الاتحـاد السوفييتي وتنطوي على اخطار نشوب عدوان نووي على الصعيد العالمي.

* * *

مخازن البنتاغون من الاسلحة النووية

في أحد خطبه امام شخصيات من الحزب الجمهوري اعلن الرئيس الاميركي رونالد ريغان ان الولايات المتحدة تجري « تقليدا للحرب » على النحو الحقيقي الذي يمكن ان تكون عنيه مستقبلا . لقد كان الرجل الاول في البيت الابيض صادقا صريحا اذ شرعت واشنطن وبشكل لامثيل له في تطوير القدرة العسكرية ودفعت باعداد كبيرة من الوسائط « للتقليد » وزادت من الانفاق على الاستعدادات العسكرية التي ستتضاعف بمقدار ٢ر٢ مرة في الاعوام من ١٩٨١ ـ ١٩٨٥ بحيث تصل الى ٣٠٣ر٩ مليار دولار في السنة مع نهاية هذه الفترة . وستكون معدلات الزيادة الوسطية في العام على الانفاق العسكري خلال النصف الاول من السنين العشر القادمة اعلى مما كانت عليه في ذروة تورط الولايات المتحدة بعدوانها في جنوب شرقي آسيا . وتعمل ادارة ريغان على زيادة المخصصات العسكرية بمقدار ٨ر٦ بالمئة سنويا حسب التقديرات الحقيقية . وعلى سبيل المقارنة فقط نورد ان معدل نمو الانتاج القومي الاجمالي لايتعدى ٥ر٣ بالمئة في العام حسب الاحصائيات الاميركية ، وبالنتيجة فان نصيب النفقات العسكرية من مجمل الانتاج القومي سيرتفع الى٦ر٦ بالمئة عام ١٩٨٥ وسيصل الى حتى ١٠ بالمئة عام ١٩٩٠ ويذهب القسم الاعلى من هذه النفقات الى الحفاظ على المجهود النووي للبنتاغون حيث تعطى الاولوية لتطوير القوات النووية المسماة بالثلاثي الاستراتيجي المكون من الصواريخ البالستية العابرة للقارات والغواصات النووية الصاروخية والقاذفات الاستراتيجية . وحسب آراء البنتاغون فان الاستخدام المشترك لهذه العناصر الثلاثة اذا ما اخذ بالاعتبار حسنات وسلبيات كل منها على حدة يؤدي الى الاقلال من الجوانب الضعيفة فيها الى ادنى حد ويزيد من الجوانب القويةالى اعلى درجة . فالصواريخ البالستية العابرة للقارات ـ على سبيل المثال ـ

تتميز بدقة عالية في ايصال الشحنات النووية وزمن طيران الى الهدف قليل نسبياً ودرجة جاهزية قتالية وبالضمانة والثبـات في القيادة ، فيما تتوفر للغواصات السرية والانتشار في مناطق واسعة في المحيطات مما يجعلها أقل عرضة للتدمير كما تتميز بالقدرة على توجيـه الضربات النوويـة من عـدة اتجاهات ، وتتصف القاذفات الاستراتيجية بالمرونة في الاستخدام القتالي ضد أهداف ثابتة ومتحركة معروفة او مكتشفة من جديد وعلى درجات مختلفةمن الوقاية وبامكانية تكرار استخدامها واعادة توجيهها لتنفيذ مهام اخرى والقيام بدوريات جوية قريبة من الحدود الدولية للعدو .

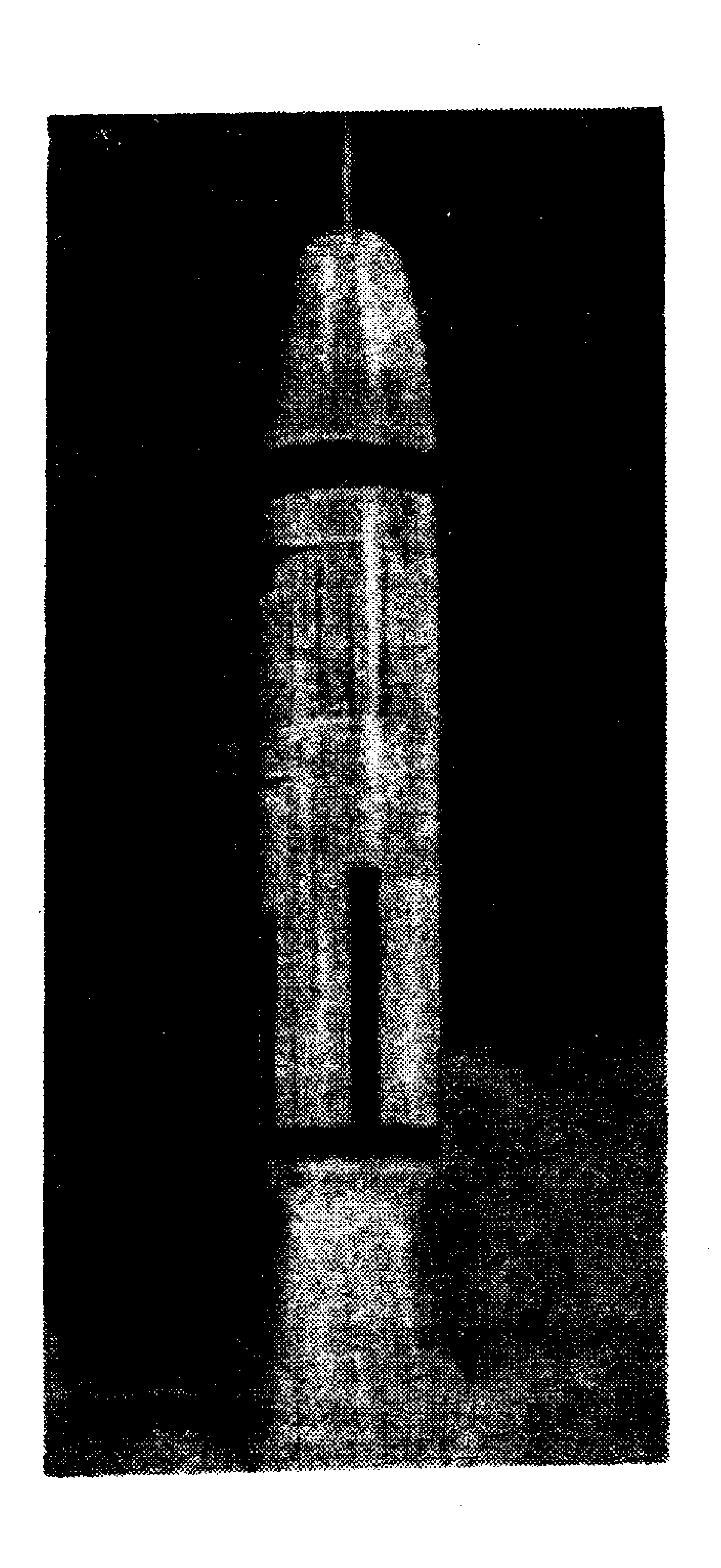
وحسب آراء الاخصائيين العسكريين الامريكيين فانه « يتعين ان تتوفر في كل عنصر من هذا الثلاثي القدرة على التدمـير المضمون للعدو حتى في ضربة جوابية » .

وفي القطعات القتالية للقوى الاستراتيجية الهجومية بلغ تعداد حاملات الاسلحة النووية ٢١٢٠ بما في ذلك : ١٠٥٣ قاعدة اطلاق للصواريخ الباليستية عابرة القارات و ٤١١ قاذفـة (٣٤٦ ثقيلة نوع بـ٥٢و٦٥ متوسطـة نوع فـبـ١١١ آ) او ٦٥٦ قاعدة اطلاق للصواريخ الباليستية موجودة في ٤٠ غواصة نووية ، ويمكن لهذه الوسائط ان تطلق دفعة واحدة ١٠٠٠٠ قذيفـة نووية تتراوح قوة كل منهما من ٥٠ كيلو طن الى ١٠ ميغاطن . ان مجمل ماتملكه الولايات المتحدة (مع حساب ماهو موجود في الاحتياط ومحفوظ في القاعدة الجوية ديفيس مونتان من القاذفات الثقيلة) في القوات الاستراتيجيةالهجومية هو ٢٣٤٦ واسطة لنقل الاسلحة النووية منها ٢٢٨١ تصنف في تعداد الوسائط العابرة للقارات و ٦٥ قاذفة متوسطة مهمتها الاساسية العمل علـى مسرح الاعمال القتالية في القارة الاوربية .

قوى الصواريخ الباليستية العابرة للقارات :

يوجد لدى الولايات المتحدة الامريكية في تسليح القوى الاستراتيجيـة الصاروخية المتمركزة على الارض ٥٥٠ قاعدة اطلاق لصواريخ «مينيتمين ـ٣» و ٤٥٠ لصواريخ « مينيتمين ـ ٢ » و ٥٣ لصواريخ « تيتان ـ ٢ » . ويمكن

للصواريخ الباليستية العابرة للقارات ان تحمل في عملية اطلاق واحدة ٢١٥٣من الرؤوس النووية القتالية بقوة من ١٧٠ كيلو طن وحتى ١٠ ميغاطن . وتنظر الزعامة العسكرية ـ السياسية في الولايات المتحدة الى هذه القوى علـى انها وسيلة لتوجيه الضربة الاولى . ومن الناحية التنظيمية جرى دمجها في سبعة اجنحة صاروخية .



(شكل ـ صواريخ للغواصات ((ترايدينت)) ـ ١)

وزودت صواريخ « تيتان ـ ٢ » العاملة على مرحلتين وبوقود سـائل زنة ١٥٠ طن والتي تم نشرها عام ١٩٦٣ بأجزاء مـن رؤوس نووية استطاعتها

١٠ ميغاطن (قوتها التدميرية اكبر بمقدار ٨٠٠ مرة من قنبلتي هيروشيما) . ومنذ ادخالها في التسليح حصلت ١٦ حادثة في « آبارها » كاد ان يؤدي كل منها الى انفجار .

وتضم صواريخ « مينيتمين — ٢ » الموجودة التسليح منذ أواسط الستينات ذات المراحل الثلاث والعاملة بالوقود الصلب أجزاء من رؤوس نووية متعددة قوتها التدميرية من فئة ميغاطن (وزن الاقلاع حوالي ٣٢ طن) .

وتشكل صواريخ « مينيتمن — ٣ » التي تم نشرها في النصف الاول من السبعينات أساس قوى الصواريخ الباليستية العابرة للقارات ، حيث بلغت طاقتها أكثر من ثلاثة أرباع التعمية الاجمالية للشحنات النووية الموجودة في قوات الصواريخ المتمركزة على الارض وزود كل صاروخ (وزن الاقلاع)٥ر٣٥طن) بأجزاء لثلاثة رؤوس نووية منفصلة ذاتية التوجيه كانت استطاعة الراس الواحد قبل اجراء تعديل عليها حوالي ٢ر. ميغاطن وتم اعتبارا من سنة١٩٧٩ اعادة تزويدها باجزاء لثلاثة رؤوس نووية منفصلة متطورة أكثر «مك—١٢آ» باستطاعة أكبر ودقة أعلى في اصابة الاهداف حيث بلغت قيمة الانحراف المحتمل عن نقطة التسديد ١٨٠ مترا ، وجرى التخطيط للانتهاء من تركيب مثل هذه الرؤوس على ٣٠٠ صاروخ مع نهاية عام ١٩٨٢ . ونشر نظام خاص لهذه الصواريخ تم بمقتضاه امكانية ادخال مهام طيران عن بعد ضد أهداف غير مخطط لها مما سمح باعادة تصويب الصاروخ تبعا للظروف المتشكلة .

الغواصات الحاملة للصواريخ

يوجد في القوى الصاروخية الاستراتيجية البحرية ٤٠ غواصة نووية مسلحة بصواريخ « ترايدينت » (٢٤٠ قاعدة اطلاق) و « بوسيدون س—٣ » (٣٠٤ قاعدة اطلاق) وصواريخ « بولاريس آ — ٣ » (١١٢ قاعدة اطلاق) . وتحمل هذه الغواصات أكثر من ٥٠ بالمئة من اجمالي الذخائر النووية الاستراتيجية ويتواجد أكثر من نصفها في دوريات قتالية مستمرة في مناطق

يمكنها منها الحفاظ على اغراض في عمق أراضي الاتحاد السوفيتي تحت التهديد النووي .

وقد دخل الصاروخ « بولاريس آ ــ ٣ » ذو المراحل الثلاث العامل بالوقود الصلب في تسليح الغواصات عام ١٩٦٤ بعد ان زود بثلاثة رؤوس قتالية من النوع المشطر باستطاعة ٢ر. ميغاطن ، ويمكن اطلاقه لمسافة ٤٦٠٠ كيلو متر .

وتم المشروع في تسليح الغواصات بصاروخ « بوسيدون س ــ ٣ » عام ١٩٧٠ وبعد سبع سنوات جهزت به ٣١ غواصة ، وهو صاروخ ذو مرحلتين يعمل بالوقود الصلب يحوي على قسم منفصل يمكن ان يحمل ١٠ ــ ١٤ راسا نوويا استطاعة كل منها ٥٠ كيلو طن .

ومع حلول عام ١٩٧٩ تم البدء باعادة تسليح الغواصات المجهزة بنظام صواريخ « بوسيدون » بصواريخ أكثر تطورا من نوع « ترايدينت ــ ١ » وهو صاروخ ثلاثي المراحل يعمل بالوقود الصلب ويحمل ثمانية رؤوس نووية استطاعة كل منها لاتقل عن ١٠٠ كيلو طن ومدى الاطلاق ٧٤٠٠ كيلو متر . ويمكن للغواصات المجهزة بهذه الصواريخ توجيه ضربات نووية الى اراضي العدو وهي تقوم بدوريات قتالية قريبا من سواحل الولايات المتحدة الاميركية.

وفي تشرين الثاني عام ١٩٨١ دخلت في خدمة البحرية الاميركية أول غواصة نووية نوع « اوهايو » المجهزة بصواريخ « ترايدينت ــ ١ » التي فاقت الغواصات المجهزة بصواريخ « بوسيدون » بمقدار مرتين تقريبا من حيث الازاحة ، ٥ر١ مرة ، من حيث عدد قواعد اطلاق الصواريخ، و٢٠ بالمئة من حيث عدد الرؤوس النووية ومرتين ونصف بالقوة التدميرية الاجمالية . ان الامكانيات القتالية لغواصة « أوهايو » أكثر بعشر مرات من الغواصة التي تحمل « بولاريس » ، وقد تم الانتهاء من بناء الغواصة الثانية التي تحمل « ترايدينت » وهي « ميشيغان » حيث دخلت في أيار عام ١٩٨٢ تجربةالابحار في عمق المحيطات ولا زالت هناك قيد البناء وعلى مراحل مختلفة سبع غواصات من هذا النوع . وجرى في السنوات المالية ١٩٨٣ ــ ١٩٨٧ التخطيط

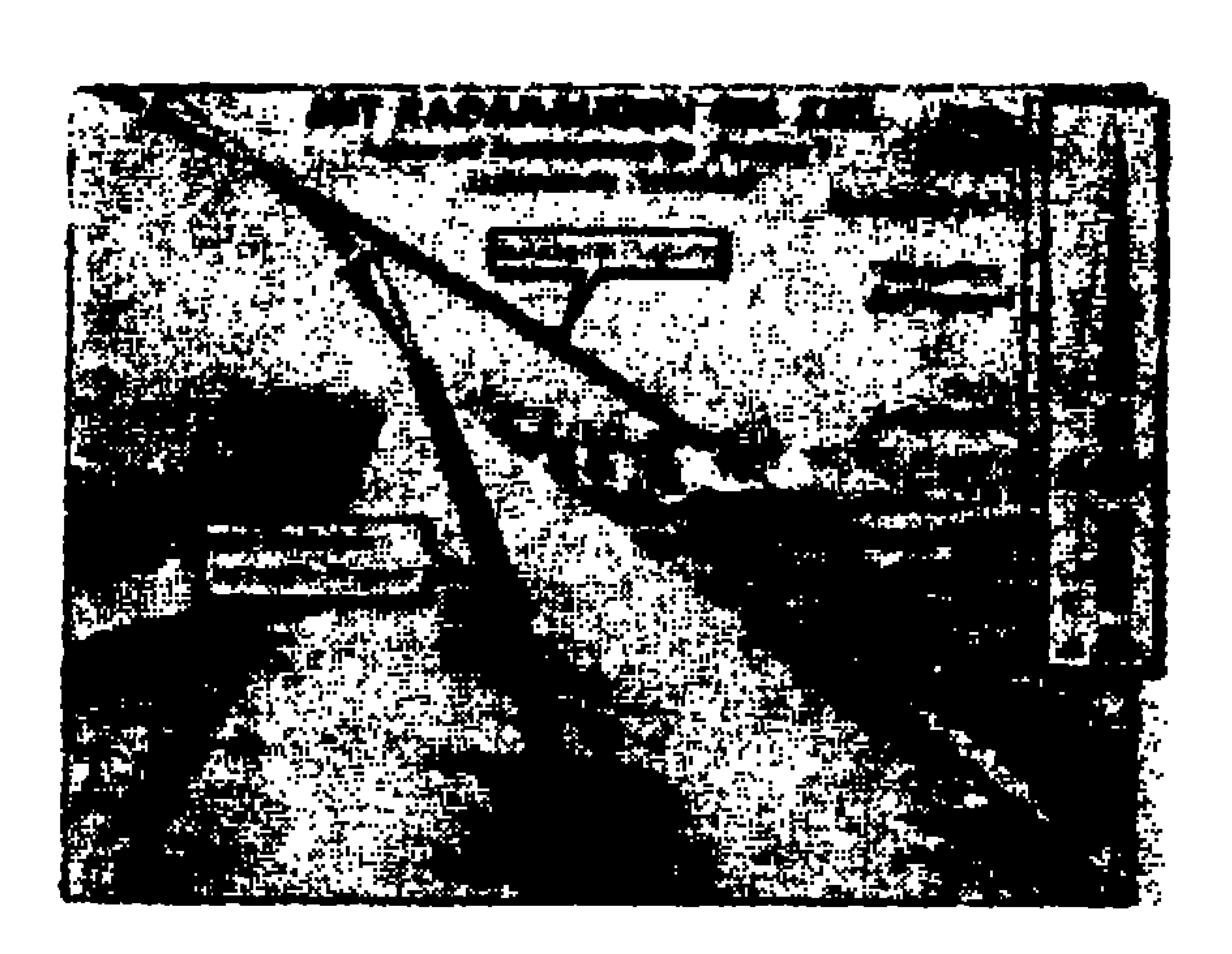
لست غواصات تحمل صواريخ « ترايندت » وتتوجه نوايا البنتاغون الى ان يكون لديها ١٣ غواصة حتى عام ١٩٩٠ بحيث يتم خلال السنوات العشر القادمة تشكيل سرب مكون من ١٠ غواصات نوع « أوهايو » في المحيط الهادي والبدء في نشر السرب الثاني في المحيط الاطلنطي .



يجري تجميع الصواريخ كروز التي تطلق من الجو في مصنع شركة « بوينغ »



قلاذفة القنابل ب ـ ١



البنتاغون تروج لصاروخ « بيرشينغ ـ ٢ » كسلاح في غاية الدقة يبين المخطط تصحيح مسار طيران « بيرشينغ ـ ٢ » بمساعدة نظام التوجيه الالكتروني وضع في مقدمة راس الصاروخ

(صور من مجلة « شبيغل » الالمانيـة)

القاذفات الاستراتيجية :

ينتشر تجميع الطيران الاستراتيجي في القسم القاري للولايات المتحدة الاميركية وعلى جزيرة غوام في منطقة المحيط الهادي بشكل جزئي .

وتقع على عاتق الطيران الاستراتيجي الاميركي فضلا عن ألوظيفة الاساسية وهي توجيه ضربات نووية مهمتها القيام باستعراض للقوى أيام السلم . ولهذه الغاية تقوم القاذفات ب ـ ٥٢ برحلات طيران منتظمة وعلى متنها أسلحة نووية في بعض الاحيان في مناطق « المصالح الحيوية الهامة » للولايات المتحدة كالشرقيين الادنى والاوسط واوربا الغربية والشرق الاقصى واوستراليا ..

ويتمثل الطيران الاستراتيجي في قاذفات نوع ب ـ ٥٢ على درجات مختلفة من التعديل (د ، جي ، آش) وقاذفات ف ب ـ ١١١ آ . وتحمل الطائرات ب ـ ٥٢ د أربع قنابل نووية من فئة مغاطن ، اما الطائرات ب ـ ٥٢ جي وآش فتحمل ثمانية صواريخ بموجهة من نوع « سريم » جو ـ ارض (استطاعة القسم القتالي ٢٠٠ كيلو طن) واربع قنابل نووية . ويمكن ان يكون على متن القاذفات المتوسطة المدى ف ب ـ ١١١ آ قنابل نووية وصواريخ « سريؤ » على حد سواء » . وكافة القاذفات مجهزة بأنظمة للتزود بالوقود جوا مما يزيد من مدى طيرانها لدرجة كبيرة .

ودخلت من أيلول عام ١٩٨١ في قوام القوى الجاهزة قتالية للطيران الاستراتيجي للولايات المتحدة قاذفات القنابل ب ـ ٥٢ الحاملة لصواريخ استراتيجية مجنحة نوع آل س م ـ ب والصاروخ المجنح الحديث هو بطبيعته طائرة بدون طيار بمحرك نفاث يتمتع بسرية الوصول الى الهدف ودقة عالية في الاصابة ، وتؤمن هذه الميزات بواسطة نظام خاص للتوجيه حسب معالم الارض . ويجرى في الولايات المتحدة أعداد أنواع متعددة من الصواريخ المجنحة اذ تقوم شركة « وينغ » بتصميم صاروخ آل س م بحيث يمكن اطلاقه من متن القاذفات وتعمل شركة « جنرال داينيميكس » على انتاج صاروخ « توما هوك » لاستخدامه من الغواصات . مدى اطلاق الصاروخ المجنح ٣٧٠٠ كيلو متر واستطاعة القسم النووي القتالي ٢٠٠ كيلو طن .

ويمكن لكل قاذفة ب ـ ٥٢ ج حمل ١٢ صاروخا آ ل س م ـ ب ثم ٢٠ صاروخا من هذا النوع بعد اتمام تعديلها . ويجري التخطيط لتزويد نصف القاذفات الثقيلة بهذه الصواريخ مع نهاية منتصف الثمانينيات .

ولاتمام تجهيز القاذفات الاستراتيجية ب ـ ٥٢ والطائرات الجديدة المصممة على اساس ب ـ ١ بالجملة فقط خطط لانتاج ٣٧٨٠ صاروخا مجنحا حتى مطلع عام ١٩٨٩ .

خطط الثمانينيات :

كشف الرئيس ريغان في مستهل تشرين الاول عام ١٩٨١ عن « برنامج استراتيجي » في الثمانينات لاينطوي فقط على التوسع في البرامج السابقة التي تمت المصادقة عليها ، وانما يأخذ بالاعتبار احداث انظمة تسليح جديدة. وقدر البيت الابيض ان الانفاق على هذا البرنامج سيكون ٢٢٢ مليار دولار خلال اعوام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٧ .

وقد صمم الصاروخ م. اكس الموجود في المرحلة النهاية للانتاج ـ وهو صاروخ باليستي عابر للقارات ـ ليكون سلاحا لتوجيه الضربة الاولى ، حيث سيزود بعشرة رؤوس نووية استطاعة كل منها ٦٠٠ كيلو طن وسيبلغ مداه ١١٠٠٠ كيلو متر .

ومع الاخذ بعين الاعتبار الدقة العالية في اصابة الهدف (الانحراف الدائري المحتمل ٩٠ مترا) فان القدرة التدميرية لهذا الصاروخ تكافيء ١٠ ـ ١٥ صاروخا من نوع « مينيتمين ـ ٣ » ذات الرؤوس القتالية « م ك ـ ١٢ آ » .

وقد تم رصد ٤ر٥ مليار دولار لبرنامج م.اكس فيما ستبلغ كلفته الاجمالية حسب تقديرات الاخصائيين ٣٠ مليار دولار ، ويعني نشر نظام م.اكس زيادة كمية الصواريخ النووية في قوات الصواريخ الباليستية العابرة للقارات بمقدار مرة ونصف .

واتخذت حكومة ريغان قرار بنشر أول ٤٠ صاروخا من نوع م.اكس

خلال عامي ١٩٨٦ ـ ١٩٨٧ في « الحفر » الجاهزة لصواريخ « مينتيمين ـ ٣ » البالنيستية العابرة للقارات كتدبير مؤقت وراعت وزارة الدفاع في نفس الوقت عدم تقليص كمية صواريخ « ميتيمين » ـ ٣ بل زيادتها من ٥٥٠ الى ٦٠٠ صاروخا .

وتستمر الدراسات لايجاد أساليب اخرى لتمركز صواريخ م.اكس حيث تتجه احداها الى تركيبها على طائرات ذات اجسام ضخمة او في « حفر » على عمق كبير للغاية تؤمن حيويه عاليه للصاروخ او توفير نظام تغطية فعالة لدفاع مضاد للصواريخ . وحسب شهادة وزير الدفاع ك.واينبيرغر . فان نشر كميات اضافية من صواريخ «م. اكس» سيتم على الارجح بطريقتين ، او ثلاث طرق للتمركز . وقد جرى التخطيط لنشر مجموعه ١٠٠ صاروخ في المرحلةالاولى وبهدف الاسراع بالابحاث المتعلقة بهذا الصدد ، أصدر الرئيس في ايار عام١٩٨٢ تعليمات لتحديد الطريقة الرئيسية لتمركز الصاروخ . ولا زالت تعطي الافضلية الى الآن لما يسمى بالطريقة « المتراصة » لتوضع « م. اكس » في قواعد اطلاق على شكل « آبار » . تتميز بدرجة عالية من الوقاية . وتطلب نشر ١٠٠صاروخ على مثل قواعد الاطلاق « الآبارية » هذه بما في ذلك ٤٠٠ قاعدة كاذبة مساحة اجمالية بلغت ٢٦ ـ ٣٩ كيلو متر مربع على ان تكون المسافة بين كل قاعدة وأخرى ٥٥٠ ـ ٦٠٠ متر ، ونذكر بان معاهدتي الحد من الاسلحةالاستراتيجية الاولى لعام ١٩٧٢ والثانية لعام ١٩٧٩ تحظران اقامة مثل هذه القواعد الاطلاق الصواريخ المتمركزة على الارض .

« ترايدينت ـ ٢ » :

تبنى البيت الابيض برنامجا لاقامة ونشر الصاروخ « ترايدينت ـ ٢ » الاكثر قوة وفعالية من « ترايدينت ـ ١ » اعتبارا من عام ١٩٨٩ بعد ان صادق على الخطط التي اعتمدها والمتعلقة ببناء غواصات نووية من نوع « أوهايو » وستكون لهذا الصاروخ من الناحية العملية نفس الامكانيات القتالية التيتتميز بها الصاروخ م.اكس من حيث تدمير الاغراض التي تتصف بدرجات عاليةمن الوقاية ، وبكلمات اخرى سيكون وسيلة « لافراغ » الضربة الاولى من مضمونها .

مدى الصاروخ ١١٠٠٠ كيلو متر وعدد الرؤوس النووية سبعة .استطاعة كل منها ٦٠٠ كيلو طن او ١٤ رأسا استطاعة الواحد منها ١٥ كيلو طن .

ويسعى البنتاغون الى ان ينجز في التسعينات تسليح كافة الغواصـــات النووية نوع « أوهايو » بصواريخ « ترايدينت ـ ٢ » .

وطبقا للاتفاق المعقود بين الولايات المتحدة وبريطانيا في آذار عام ١٩٨٢ فان هذه الصواريخ ستدخل في تسليح اربع غواصات نووية انكليزية .

ب ـ ١ :

جرى احياء برنامج تصنيع القاذفة ب ـ ١ على أسس جديدة ترفع من نوعيتها بعد أن رفضتها خطط سابقة وسيتم على اساسها اقامة القاذفة ب ـ ١ الحاملة للصواريخ المجنحة بحيث تدخل اعتبارا من عام ١٩٨٦ في قوام الطيران الاستراتيجي ، على ان يكون هناك ١٠٠ قاذفة منها بحلول عام ١٩٨٨ الى جانب القاذفات ب ـ ٥٢ بعد انفاق ٢٥ مليار دولار عليها . ويسعى البنتاغون الــى تشكيل أول سرب بقوام ١٥ قاذفة ب ـ ١ ب في عام ١٩٨٦ ، ويمكن لكل منها أن تحمل حتى ٣٠ صاروخا مجنحا . ويرتبط بهذه القاذفة زيادة في برنامج انتاج صواريخ آل سي م ـ ب بمقدار عدة مئات .

« ستيلت » :

يشمل برنامج ريغان خطة لتصنيع قاذفة استراتيجية جديدة لامثيل لها في الطائرة « ستيلت » التي لايمكن بناء على حسابات البنتاغون كشفها بوسائط الدفع الجوي الحديثة ، وبالتالي يمكن استخدامها لتوجيه ضربة نووية مفاجئة. وجرى تخطيط اقامة ١٥٠ طائرة « ستيلت » في التسعينات لتحل مكان القاذفات ب ـ ٥٢ وتضاف الى الانواع المطورة من طائرات ب ـ ب .

توماهــوك :

ان المجهود النووي الاستراتيجي ازداد أكثر فاكثر مع البدء ببرنامــج تزويد ١٥٠ غواصة نووية وسفينة سطح بالصواريــخ المجنحة بعيدة المدى « توماهوك » .

وتتجه نوايا البنتاغون في العشر سنوات القادمة الى زيادة امكانيات القوى الهجومية الاستراتيجية المتعلقة بايصال القذائف النووية الى اهدافها « بضغط زر – طلعة » واحدة بمقدار ٥ر٢ مرة في أعقاب تنفيذ برنامج نشر الصواريخ المجنحة المتمركزة ارضا والقاذفات الاستراتيجية الجديدة وصاروخ م.اكس ونظام « ترايدينت » .

وتستمر في الوقت نفسه الابحاث الموجهة لاقامة نظام فعال للدفاع ضد الصواريخ فطلب البيت الابيض اعتماد مبلغ ٥ر٨٧٠ مليون دولار في السنة المالية ١٩٨٣ لتنفيذ برنامج يتعلق بهذا الموضوع ، وهو مبلغ يزيد بمقدار الضعف عن مبلغ رصد لهذه الغاية في العام الذي سبقه .

وتتركز الجهود الرئيسية على اعداد نظام يستند على أقامة عدة انساق للدفاع المضاد للصواريخ قادر على اعتراض الاهداف في الفضاء الخارجي وفي الطبقات الجوية القريبة من الارض على حد سواء باستخدام احدث وسائط التدمير بما في ذلك صواريخ متعددة الرؤوس النووية حرمتها المعاهدةالامريكية السوفييتية للحد من انظمة الدفاع المضاد للصواريخ في عام ١٩٧٢ . ومع هذا يصر البنتاغون على اقامة القاعدة التقنية الضرورية لنشر نظام قتالي من هذا النوع على وجه التحديد .

ان خطط الادارة العسكرية للولايات المتحدة الاميركية في مجال تطوير الاسلحة الهجومية الاستراتيجية ونشر أنظمة الدفاع المضاد للصواريخ والمركبات الفضائية موجه الى انجاز مهمة اقامة مجهود نووي في الثمانينات قادر على توجيه الضربة لاولى .

الوسائط النووية لمسرح الحرب :

تولي الزعامة الاميركية في حساباتها « للحد » من الحرب النووية خارج الولايات المتحدة الاميركية اهمية كبرى لما يسمى بالوسائط النووية لمسرح الحرب . فقد تم – على سبيل المثال – نشر ٧٠٠٠ قذيفة نووية أمريكية في أوربا الغربية و ١٨٠٠ في آسيا وحتى ٢٨٠٠ على سفن الاساطيل في المحيطين الاطلسي والهادي .

وتتوفر للبنتاغون في الوقت الراهن داخل أوربا الغربية أكثر من ٧٢٠ طائرة قادرة على حمل وايصال القذائف النووية لمسافات تصل الى ٣٠٠٠ كيلو متر .

ومنذ عام ١٩٦٠ طرات تغييرات وتعديلات نوعية على الوسائط الحاملة للقذائف النووية وعلى هذه القذائف نفسها العائدة للولايات المتحدة التي تم نشرها على أراضي الدول التي « افل نجمها » من ناحية زيادة المدى ودقة الاصابة وفعالية التدمير ، فجاة بدلا من العتاد القديم صواريخ «بيرشينغ-٢١» و « لانس » وطائرات حديثة حاملة للقذائف النووية .

وقد تم التخطيط لنشر أنظمة نووية أميركية جديدة متوسطة المدى في أوربا الغربية اعتبارا من عام ١٩٨٣ تشمل ١٠٨ قاعدة اطلاق لصواريخ « بيرشينغ - ٢ » و ٤٦٤ صاروخا مجنحا متمركزة على الارض (جل‌س‌م)» وقد جرى تحديد اماكن نشرها على أراضي بريطانيا العظمى (١٦٠ صاروخا مجنحا) والمانيا الغربية (١٠٨ قاعدة اطلاق « لبيرشينغ - ٢ » و٩٦ صاروخا مجنحا) وايطاليا (١١٢ صاروخا مجنحا) وبلجيكا وهولندا (بمعدل ٤٨ صاروخا مجنحا في كل منهما) . يبلغ مدى صواريخ «جل‌س‌م» ٢٥٠٠ كيلو متر واستطاعة القسم النووي ٢٠٠ كيلو طن . وقد خصصت جميعها لتوجيه ضربة نووية كثيفة ضد أغراض في عمق الجزء الاوروبي من الاتحاد السوفييتي . واعتمد لنشر الصواريخ المجنحة إنفاق ٣ر٢ مليار دولار .

وجرى ادخال تعديل جوهري على المدفعية النووية للقوات الاميركية في أوربا ، اذ ان كافة المدافع الموجودة في الوقت الراهن وهي من عيار ١٥٥ و٣ر٢٠٢مم قادرة على اطلاق وسائط نووية وزاد مداها من ١٥ كم الى حتى ٣٠ كم . ويوجد تحت تصرف البنتاغون في الوقت الحاضر على القارة الاوروبية أكثر من ٦٠٠ صاروخ ذات مهام تكتيكية - عملياتية الى جانب مدافع لاطلاق قذائف نووية ازداد مجموع عددها خلال أعوام ١٩٦٠ - ١٩٨٠ في القوات البرية الاميركية من ٢٨٠ الى حتى ٢٢٠٠ مدفعا .



(شكل لصاروخ م.اكس ذو ١٠ رؤوس منشطرة)

وتم في عام ١٩٨١ البدء تبعا لقرار الرئيس ريغان بانتاج الاسلحة النيترونية على نطاق واسع لصواريخ « لانس » ومدافع من نوع قذاف عيار ٢٠٣ر٢ مم المخصصة للاستخدام خارج حدود الولايات المتحدة الاميركية على القارة الاوربية في المقام الاول ، ويخفض نشر مثل هذه الاسلحة في اوروبا أو في اية بقعة أخرى من العالم وللدرجة كبيرة من مايسمى « بالعتبة النووية » ويزيد من احتمال نشوب الحرب . وفضلا عن ذلك فان الاسلحة النيترونية تعتبر بحد ذاتها سلاحا هجوميا وليس دفاعيا كما يؤكد ذلك البنتاغون ، فوظيفته الرئيسية هي قبل كل شيء تدمير القوى الحية في الملاجىء مما يسمح مباشرة بعد استخدامه بالقيام في عمليات هجومية .

وقرر البيت الابيض منذ زمن ليس ببعيد زيادة الرصيد من الاسلحة النيترونية بمقدار الضعف وصادق على الاعتمادات المالية لانتاج ١٠٠٠ قذيفة مدفعية ، وهو من النوع الجديد للاسلحة النيترونية عيار قذائفه ١٥٥ مم يمكن ان تزود بحشوات نيترونية او نووية على حد سواء ، ويزيد مداها عن

٢٥ كم . ويجري التوسع اكثر فاكثر بالبرنامج النيتروني بحيث ستكـون كلفتها في الخمس ـ ثماني السنوات القادمة حسب معلومات جريدة « نيويورك تايمز » حوالي ٥ر٢ مليار دولار .

القاعدة الانتاجية ـ العلمية :

تنفق الولايات المتحدة الاميركية موارد كثيرة جدا على الابحاث والصناعات العسكرية فقد بلغت مصروفاتها لعام ١٩٨٠ على الدراسات العلمية والتصاميم الموضوعة قيد التجربة من ميزانية وزارة الدفاع وحدها ٥ر١٣ مليار دولار ويجري التخطيط لزيادتها لتصل في عام ١٩٨٥ الى مبلغ ٣٢ مليار والى جانب ذلك تحصل المؤسسة القومية للطيران ودراسة الفضاء الخارجي التي تزداد تبعيتها يوما بعد يوم لمصالح البنتاغون على حوالي ٦ مليارات دولار ستنفق وزارة الطاقة منها مايقرب من ٣ مليارات علـى الابحاث في مجال الاسلحـة النووية . وهذا يعني ان مالايقل عن ثلثي النفقات الفيدرالية للولايات المتحدة الاميركية على الدراسات العلمية والتصاميم ـ التجريبية تذهب لتشكيـل القاعدة العلمية ـ التقنية المكرسة لاعداد أحدث انواع الاسـلحة واكثرهـا تدميرا .

ويعمل ١٤٦ مصنعا حكوميا وحوالي ٤٠٠٠ مؤسســة ضخمة لشركات خاصة على انتاج أنظمة التسليح والامداد بالعتاد العسكري . ومن بين هذه الشركات الرئيسيـة الموردة للادارات العسكريـة « ماكدونال دوغلاس » ، « يونايتد تكنولوجيز » ، « جنرال داينيمكس » وتختص قبل كل شيء بانتاج الاسلحة الهجومية كالصواريخ النووية وتسليح الطائرات والسفن العاملـة بالطاقة النووية .

وكانت مدفوعات البنتاغون للعام المالي ١٩٨١ وحده تنفيذا لعقود مبرمة لتصميم وانتاج اسلحة وعتاد حديث تشكل مايزيد عن ٣٣٪ من مجمل ماخصص لصناعة الآليات في الولايات المتحدة .

وتؤمن الوحدات الصناعية النووية الكاملة متطلبات كافة انواع القوات المسلحة من حيث تجهيزها واعادة تزويدها بالقذائف النوويـة مـن مختلف

الانواع والمهام بدءا من القذائف النووية للمدفعية والطوربيدات من فئة كيلو طن حتى القذائف النووية الاستراتيجية باستطاعة ١٠ ميغاطن . ويجري نتاجها المتسلسل في سبعة مصانع ويتم اعمل بوتيرات متسارعة لتأمين انجاز « انبرنامج الاستراتيجي » في الثمانينيات الذي سيدخل تعديلا على مجمل الانتاج الصناعي النووي ، وقد انشئت لهذه الغاية خطوط انتاج آليةللصواريخ البالستية ذات المهام الاستراتيجية . ووفرت هذه القاعدة الانتاجية حتى منذ الستينات قاعدة لاطلاق للصواريخ البالستية يوميا وزودت حتى ١٤ غواصة في السنة بصواريخ « بولاريس » و « بوسيدون » .

ووصلت الاستعدادات لانتاج سلسلة جديدة من انواع اسلحةاستراتيجية جديدة تشمل صواريخ مجنحة متعددة المهام الى مراحلها الاخيرة فأقامت شركة « بوينغ » عام ١٩٨١ في مدينة كنت (ولاية واشنطن) مصنعا لانتاج الصواريخ المجنحة آ ل س م - ب ستبلغ طاقته الانتاجية ٧٠٠ صاروخا في العام . وجرى اعادة تصميم مصنع لشركة « جنرال داينيمكس » في مدينة سانديافو (ولاية كاليفورنيا) بحيث ينتج ٥٠٠ صاروخا « توماهوك » في العام لتسليح الغواصات وسفن السطح . وستعمل المنشآت الصناعية لهذهالشركة في آن واحد على انتاج حوالي ٧٠٠ صاروخا سنويا من انواع اخرى جرى اعدادها على اساس قاعدة « توماهوك » . وتخطط صناعة الولايات المتحدة الاميركية لتزويد البنتاغون بـ حتى ١٩٠٠ صاروخا مجنحا في العام ، وهناك خطط تراعي امكانية زيادة هذا الرقم الى حتى ٢٥٠٠ صاروخا .

وزادت خلال السنوات الاخيرة القدرة الانتاجية لاحواض بناء السفن التابعة لشركة « نيوبورت نيوز شيب بلدينغ اند دراى دوك » ، بحوالي ٣٠٪ ويجري في نيويورك (ولاية فيرجينيا) بناء حاملات الطائرات والغواصات النووية ، وسيتم في وقت قريب البدء في أحواض السفن هذه ببناء حاملتي الطائرات الخامسة والسادسة نوع «نيميتس» اللتين طلب تخصيص الاعتمادات لهما في ميزانية العام المالي ١٩٨٣ .

ويجري العمل الآن في أحواض سفن مدينة غروتون (ولاية كونيكتيكوت)

انتاج غواصتين من نوع « اوهايو » و « لوس انجلوس » من جانب شركتي « اليكتريك بوت ديفجن » و « جنرال داينيمكس » .

وقام ٣٣ مصنعا من اكبر مصانع تجميع الطائرات في الولايات المتحدة في التسعينات بانتاج ۳۰۰۰ طائرة وحوامة قتاليه في العام .

ان « تقليد الحرب » الذي تحدث عنه الرجل الاول الحالي في البيت الابيض يشكل سابقة خطيرة تهدد وجود الحضارة الانسانية وتستنزف كثيرا من الاحتياطات المادية والجهود البشرية في الولايات المتحدة نفسها وهي البلد الذي اخذ على عاتقه المبادرة في سباق مميت للتسلح النووي .

* * *

التهديـــد تلو التهديـــد

هددت حكومة الولايات المتحدة حسب معلومات معهد بروكينغ منــذ عام ١٩٤٦ باللجوء الى استخدام الاسلحة النووية ضد الاتحاد الســوفييتي ومجموعة من الدول الاوروبية والنامية وهذه بعض الامثلة على ذلك .

هدد الرئيس ترومان يوغسلافيا عام ١٩٤٦ باستخدام القنبلة النووية بعد أن اسقطت وسائط دفاعها الجوي طائرة تابعة للقوى الجوية الاميركية خرقت المجال الجوي للبلاد . وفي عام ١٩٤٧ أرسلت الولايات المتحدة سبع طائرات ب ـ ٢٩ محملة بالقنابل النووية الى الاورغواي لاظهار استعدادها لحمايــة شمال وجنوب أميركا من « التغلغل الشيوعي » .

وبحلول عام ١٩٤٨ هددت الولايات المتحدة عدة مرات باستخدامالاسلحة النووية سعيا وراء منع التحولات الديمقراطية على الارض الالمانية ونشرتلهذه الغاية في بريطانيا العظمى ست قاذفات استراتيجية نوع ب ـ ٢٩ . وقبل بدء المحادثات حول وضع برلين عام ١٩٥٨ أعدت واشطنــن حاملات طائــرات الاسطول السادس الاميركي للانتشار في المحيط الاطلسي .

وصرح ممثل اللجنة المنبثقة عن رؤساء الاركان الجنرال « برادلي » عام ١٩٥٣ أمام لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس « ناقشنا عدة مرات امكانية الاستخدام التكتيكي للقنبلة النووية » في الحرب الكورية بمجرد اختيار « الهدف المناسب » فقط . وبعد مرور اقل من سنة عرض أيزنهاور علــى رئيس وزراء فرنسا ج.لانيليو صواريخ نووية تكتيكية « مارك ـ ٢١ »للصراع ضد القوات الفيتنامية التي طوقت الاحتلال الفرنسي في ديان بيان فو .

وأرسلت الولايات المتحدة عام ١٩٥٤ القاذفات النووية الى نيكاراغــوا لدعم الانقلاب الذي هيأت له وكالة المخابرات المركزية مع جارتها غواتيمالا .

وهددت الولايات المتحدة الاميركية باللجوء الى استخدام الاسلحة النووية عام ١٩٥٦ ابان ازمة السويس .

وارسل ايزنهاور سنة ١٩٥٨ اربعة عشر الف جندي اميركي الى لبنان وكان في تسليح هذه الوحدات صواريخ نووية تكتيكية « اونست جون »، وخيم في تلك المرحلة ايضا التهديد النووي فوق الاردن والعراق .

وكانت واشنطن على استعداد في أعوام ١٩٥٤ – ١٩٥٨ لتوجيه ضربة نووية ضد الصين بسبب مسألة تايوان ، فقامت سنة ١٩٥٨ بحشد قذافات اميركية قادرة على اطلاق قذائف نووية في جزيرة كويما بالقرب من البر الصيني مباشرة .

وتوجهت نوايا واشنطن عام ١٩٦١ الى الاستعانة والتلويح بالعصا النووية ابان ازمة الكاريبي .

ونظر البنتاغون في العام نفسه الى امكانية استخدام القاذفات النووية في لاوس للمساعدة على سحق انتفاضة قوى التحرر الوطنية .

ونصحت لجنة رؤساء الاركان الرئيس جونسون عام ١٩٦٨ بالتصديق على استخدام السلاح النووي لرفع الحصار عن القوات الاميركية التي طوقها الوطنيون الفيتناميون في منطقة كخيسان .

وبتوصيات من وزير الخارجية هنري كيسنجر والمستشار العسكري للبيت الابيض آ . هيج اعلنت في القوات المسلحة الاميركية سنة ١٩٧٣ اثناء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الجاهزية القتالية النووية وخطط البنتاغون عام ١٩٨٠ الى تعريض ايران لضربة نووية .

* * *

مـاذا خـارج الاقـواس ؟
القدرة والسياسة النوويتان لكل مـن بريطانيا وفرنسا

توجهت الانظار في بداية الثمانينيات الى المشكلات الناجمة عـن امتلاك بريطانيا وفرنسا اسلحة نووية خاصة بهما ؛ وهذه المسألة بحد ذاتها ليست بجديدة الا انه ومع عملية التطوير المستمر والزيادة في المجهود النووي الـى الحد الذي بات ينطوي على تهديد اكتسبت هذه المعضلة ابعاد جديدة وخصوصا جانبها المتعلق بموضوع حساب نسبة قوى الطرفين المتجابهين ، حيث وضعت كل من باريس ولندن قواها النووية خارج اقواس ولم تريا ضرورة لادخالهـا في مباحثات الحد من الاسلحة النووية .

ودارت في بريطانيا ـ على سبيل المثال ـ في السنوات الاخيرة مناقشة حول الحاجة لاسلحة نووية خاصة والغاية منها والحجم الذي يجب ان تكون عليه اذا كان هناك داع لها بطبيعة الحال .

وتنطلق حكومة المحافظين من ان امتلاك القوى النووية يشكل حجر الزاوية في السياسة العسكرية لردع المعتدي المحتمل عن اغراءات القيام بهجوم. وقد اكدت « مرغريت تاتشر » في خطاب لها امام الدورة الثانية الخاصة للجمعية العمومية للامم المتحدة حول نزع السلاح ، اكدت بعد ان اثنت على الاسلحـة انه يجب ان ينظر الى المقدرة النووية على انها « وسيلة ردع » تساعد علـى ما اسماه ونستون تشرشل « توازن الرعب » . وركز وزير الدفاع جي.نوت على « ان الحكومة مقتنعة كما كانت في السابق بانه ليست هناك صواريخ اخرى باستثناء « ترايدينت » يمكن استخدامها كعامل ردع نووي فعال حتى عام ٢٠٠٠ ؛ وبعدها فان اي استخدام آخر لموارد انكلترا لايستطيع ان يوفر لها الامن او يعزز بشكل ماقدره الردع للناتو ككل .

وهذا لايختلف كثيرا من حيث المبدأ عن مواقف الدوائر الفرنسية من حيث نظراتها للسلاح النووي ، ويعيد الرئيس فرانسواميتران للاذهان ان فرنسا تنطلق من سياسة « استراتيجية الردع » وتعزيزا لدفاعها فقد أعطى تعليمات لبناء الغواصة النووية السابعة .

وهنا يمكن القول ان « المعتدي المحتمل » (وهو مايعتبرونه الاتحاد السوفييتي ومنظمة معاهدة وارسو) ليس لديه نوايا عدوانية ضد أوروبا الغربية بل يقدم بشكل متواصل البرامج الموجهة للحد من التسليح وتعزيز الامن والثقة المتبادلة والتعاون . واذا ماكانت هناك معوقات أمام الوصول الى هذه المطالب فان ذلك يعود لسياسة الولايات المتحدة فقط ولمواقف بعض شركائها في أوروبا الغربية أيضا . من هنا تأتي الانتقادات العديدة للسلاح النووي في كل من بريطانيا وفرنسا . وهل المطلوب محادثات أم مواجهة ، تخفيض في مستوى التسليح النووي ام الدخول في سباق الى نهاية الشوط بقصد الترويع والارهاب ؟ .

ولو ذهبنا الى اكثر من ذلك لرأينا انه يحلو للدوائر الرسمية في كلا البلدين التركيز على الطبيعة المستقلة لقواها النووية ، وتلفت باريس الانظار الى ان فرنسا لاتدخل في الجناح العسكري لحلف الناتو ولها عقيدة خاصة بها في استخدام قواها النووية . الا ان كل هذه القضايا تظل نسبية اذا اخذنا بالاعتبار مسألة هامة هي وظيفة القوى النووية لانكلترا وفرنسا . انالجواب على سؤال ضد أية اغراض موجهة صواريخهما لايختلف عليه اثنان وليس سرا ان القدرات النووية للولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا تكمل بعضها بعضا أو انها موحدة من الناحية العلمية .

وتعيد صحيفة « كريستنشين ساينس مونيتور » الامريكية للاذهان ان مخزون الاسلحة النووية لدى كل من انكلترا وفرنسا سيستخدم حسب الفقرة الخامسة من المعاهدة شمالي الاطلسي سوية مع مالدى الولاياتالمتحدة لان « الهجوم المسلح على دولة او عدة دول في أوروبا أو أمريكا الشماليةيعتبر هجوما على الجميع » .

وفي عام ١٩٨٠ اعلن البيت الابيض رسميا : « ترى حكومة الولايات المتحدة الامريكية ان القوى النووية الاستراتيجية البريطانية التي ادخلت في قوام الناتو تسهم بقسط وافر في قدرة حلف شمالي الاطلسي على ردع العدوان السوفييتي » . وأوضح ميتران أن من الضروري التذكير بأن فرنسا لم تخرج من الجناح العسكري لحلف شمالي الاطلسي ، بل خرجت من القيادة الموحدة للناتو : « ان الناتو موجود ونحن عضو فيه ، ونود ان يقوم بوظيفته على نحو افضل » .

هذا الاثبات يؤكد ان القدرة النووية للغرب تتكون من ثلاثة عناصر تشكل بريطانيا وفرنسا طرفين فيهما بغض النظر عن اعتبارات وصيافات دقيقة لاتبرر توجهاتهما العسكريه التي يراد منها فهم ان هناك قاعدة سياسية محددة لهما .

ومما يسترعي الانتباه عند تحليل التوازن العسكري - الاستراتيجي في العالم ان الدول الغربية تركز على مالدى الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي قبل كل شيء من أسلحة نووية ولا تأخذ بالحسبان قدرات انكلترا وفرنسا ثم تغفل عند المحادثات الوسائط النووية الامريكية المتمركزة في مناطق متقدمة على حدود الاتحاد السوفييتي . ويقدم هذا النهج صورة مشوهة للاوضاع السائدة في العالم الآن فعلى الرغم من حقيقة ان مالدى الدولتين الغربيتين يقل نسبيا عما يتوفر للولايات المتحدة او الاتحاد السوفييتي الا انه بحد ذاته يتمتع بقدرة تدميرية هائلة فضلا عن أنه يتطور باستمرار وتزداد مقدرته يوما بعد يوم .

ومما يوجد بحوزة انكلترا في الوقت الراهن نظام الصواريخ «بولاريس» يضم ٦٤ صاروخا يحمل كل منها ثلاثة رؤوس نوويه تعادل استطاعة كل رأس ٢٠٠ كيلو طن أي مايزيد بمقدار ١٦ مرة عن قوة القنبلة النووية الامريكية التي القيت على هيروشيما . وعلى هذا النحو فان بريطانيا توجه الاتحاد السوفييتي ١٩٢ رأسا نوويا يمكن ان تلحق خسائر مرعبة تفوق ٣٠٠٠ مرة مما اصاب هيروشيما .

وسيشكل البرنامج الذي تبناه المحافظون لتطوير القوى النووية حسب تقديرات الاخصائيين وضعا جديدا من حيث النوعية . ومن المفروض عندما يحل النظام الامريكي « ترايدينت » محل « بولاريس » ان تزود كل غواصة من الغواصات الاربع بـ ١٢ صاروخا كحد ادنى (أحيانا يذكر ١٤ وحتى ١٦) يحمل كل منها ١٤ راسا نوويا (لقد تم الحفاظ على سرية عدد الرؤوس النووية من حيث المبدأ حسب ماجاء في جريدة « الفاينينشال تايمز » استطاعة الشحنة النووية في كل رأس تتراوح من ١٥٠ حتى ٦٠٠ كيلو طن وبكلمات اخرى يمكن القول ان القدرة التدميرية للرؤوس النووية الانكليزية ستتضاعف عدة مرات في التسعينات عما هي عليه الآن في ظل (نظام بولاريس) .

والى جانب الصواريخ المتمركزة في الغواصات يوجد لدى انكلترا ٥٠ طائرة « فولكان » و ٦٠ طائرة « باك كانير » المخصصة لحمل اسلحة نووية .

وتشير الدلائل الى زيادة الانفاق على التسليح النووي في انكلترا ويبين الجدول التاني صورة للنفقات على القوى الاستراتيجية النووية وهو ماخوذ من نتائج مناقشات جرت في البرلمان .

السنـة	ملايين الجنيهات الاستراتيجية
١٩٧٢ – ١٩٧٣	١٧٨
١٩٧٩ – ١٩٨٠	١٩٦
١٩٨٠ – ١٩٨١	٢٠٦
١٩٨١ – ١٩٨٢	٣٠٠

ويؤكد « الكتاب الابيض حول مسائل الدفاع لعام ١٩٨٢ – ١٩٨٣ » ان الاستراتيجية النووية تظل حجر الزاوية للدفاع في سياسة انكلترا وبالتالي فقد أولى البرنامج العسكري اهميـة كبرى لتطوير (قوى الردع النوويـة الذاتيـة) .

وفيما يخص فرنسا فان لديها ثلاث قوى نووية استراتيجية تتمثل في:

١ ـ القوى البحرية الاستراتيجية التي يدخل في قوامها خمس غواصات نووية مجهزة كل منها بـ ١٦ صاروخا حراريا نوع « م ـ ٢٠ » باستطاعة ١ ميغاطن ومدى ٣٠٠٠ كم .

٢ ـ القوى الجوية الاستراتيجية وتضم ٤٦ قاذفة « ميراج ـ ٤ » التي تحمل قنابل نووية استطاعة كل منها ٦٠ كيلو طن .

٣ ـ صواريخ نووية حراريه نوع « س ـ ٢ » بمدى يصل الى ٣٥٠٠ كم واستطاعة الشحنة ١ ميغاطن . وكان عددها عام ١٩٨١ ثمانية عشر صاروخا .

ويعتبر الاخصائيون العسكريون ان القدرة القتالية للقوى النووية الفرنسية ازدادت في الاعوام من ١٩٧٥ حتى ١٩٨٠ بمقدار يزيد عن الضعف « من ٣٠ حتى ٧٥ ميغاطن » . ويجب ان تصل هذه القوة في عام ١٩٩٠ الى ٩٠ ميغاطن وسيكون بمقدور القوى الفرنسية الحفاظ على ١٥٠ هدفا تحت التهديد النووي المستمر « هذا يعني في الاطر الاستراتيجية توجيه ضربات ضد مدن » .

وجاء في تصريح لوزير الدفاع الفرنسي شارل ارنو في المعهد العالي للدفاع الوطني « ان ماستشكله القوى النووية الفرنسية في المستقبل والتي يتم التعبير عنها بعدد الحاملات او الميغاطن لن يكون كبيرا بالنسبة لما في حوزة الدولتين العظميين غير ان قدرتها التدميرية ستكون كافية بحيث ترغم العدو المحتمل على التفكير مطولا .

وفيما بعد أعلن شارل آرنو أمام اللجنة المالية في البرلمان وهو يقدم الميزانية العسكرية انه سيكون للقوى النووية « الاولوية المطلقة » وازدادت في تلك السنة النفقات العسكرية العامة بمقدار عشرة بالمئة (حتى ٢٢٫٩ مليار دولار) كان نصيب المشتريات النووية منها ١٤٫٤ بالمئة وفيما يخص النفقات على الغواصات مع ماتحمله من اسلحة نووية ٢٦٫٢ بالمئة .

وستجهز في الوقت الحاضر ست غواصات بصواريخ « م ـ ٤ » يزيد مدى كل منها عن ٢٠٠٠ ميل وبحمل ٦ شحنات نووية ، كما تم انجاز خطة بناء الغواصة السابعة ، وبالاضافة الى ذلك ابتاعت الحكومة الفرنسية ١٥ قاذفة ـ مقاتلة من نوع « ميراج ٢٠٠٠ » المسلحة بصواريخ نووية وهي عاكفة الآن على صناعة صاروخ نووي متوسط المدى نوع « غاديس » .

وعلى هذا النحو فان الاتحاد السوفييتي يواجه في أوروبا الغربيةمخزون هائل من الاسلحة النووية يزداد ويتطور باستمرار . وعلى الرغم من هذه الحقيقة تصر الشخصيات السياسية في واشنطن ولندن وباريس عند تحليل توازن القوى على عدم ادخال الحاملات والرؤوس النووية الموجودة في حوزة القوات المسلحة لكل من انكلترا وفرنسا بالحسبان . والغاية من ذلك انتستثنى قوة هاتين الدولتين وان توضع جانبا دون التعرض لها في كافة المحادثات أو في اية اتفاقيات يحتمل التوصل ابها في المستقبل للحد من الاسلحة النووية وتقليصهـا .

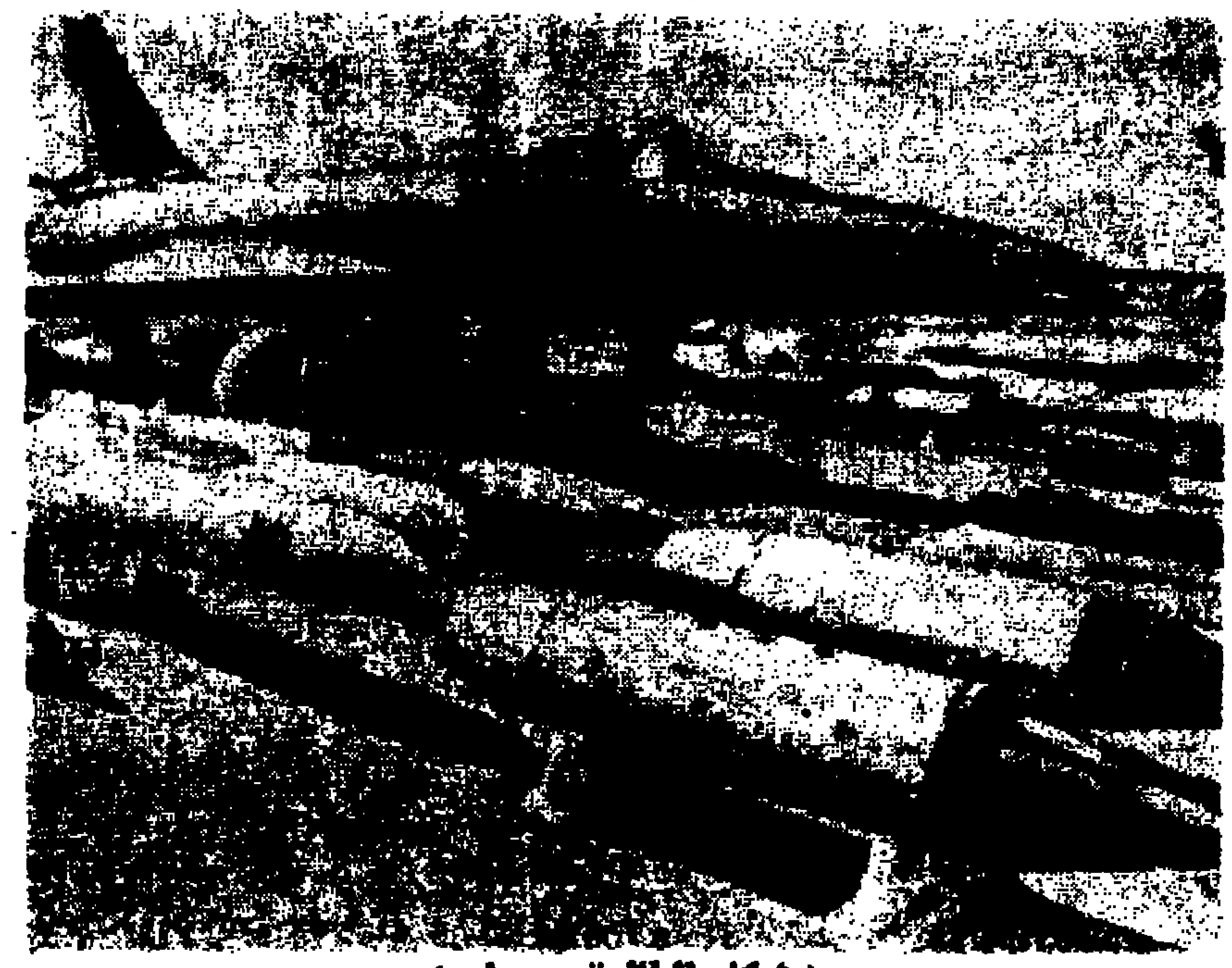
لقد اوضح وزير الدفاع البريطاني في أثناء المناقشات الخاصة فيالبرلمان ان انكلترا لاتشترك في محادثات جنيف للحد من الاسلحة النووية متوسطة المدى في اوروبا على اعتبار ان الحديث يجري هناك عن الصواريخ المتمركزةعلى الارض . وهو يريد بهذا ان يشير الى ان صواريخ « بولاريس » الانكليزية ومن ثم « ترايدينت » في المستقبل تعود الى انظمة تمركز بحري ، وان مايتعلق بمحادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية وتقليصها هو ـ باعتقاد لندن ـ يخص الدولتين العملاقين فقط ويجري على أساس ثنائي للغاية لاعلاقة للدول الاخرى فيه .

الا يدعو هذا الى التفكير بحرمان بريطانيا من حق انتمائها لنادي الدول العظمى التي تمتلك اسلحة نووية طالما أنها تتنازل عن ادخال أسلحتها في اي اتفاق ! .

واوضح الرئيس فرانسوا ميتران موقف الحكومة الفرنسية وهو يستند الى ان الحديث يجري في المرحلة الراهنة حول محاولات لتقليص أسلحة

« فوق ماهو مالوف » وشدد على القول : « لو ان المحادثات التي بدأتها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي تتناول نزع السلاح بشكل عام وليس فوق ماهو مالوف ، منها لكان لفرنسا موقف آخر اتحدث عنه الآن،لكنه لايمكن لفرنسا في ظل الوضع الراهن ان تتخلى عن القوة التي تمتلكها وبالتالي لن تشترك في محادثات من هذا القبيل . وتابع يقول « ويمكن ان نسهم بقسطنا في موضوع نزع السلاح بعد أن تتوقف الدولتان العظميان عن لعب الدول الاول والاخير فقط » .

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى انه توجد وجهات نظر اخرى حول هذه المعضلة ، ففي انكلترا نفسها وعلى سبيل المثال صرح وزير الدفاع العمالي في حكومة الظل جي.سيلكين : ان كثيرا من الانكليز يرغبون بانضمام انكلترا لمحادثات جنيف لاسيما وأنها تعتبر دولة عملاقة بما تمتلكه من اسلحة نووية خاصة ، ولعل الصحفي الفرنسي المعروف بول مارى دى لياغورس المختص بالشؤون العسكرية كان على صواب عندما لفت الانظار الى انه لايمكن للاتحاد السوفييتي ان يغفل النظامين الفرنسي والانكليزي عند اجراء اي حساب لتوازن القوى .



(شكل الطائرة ميراج)

قامت جمهورية الصين الشعبية وهي الدولة النووية العظمى الخامسة باول تفجير نووي عام ١٩٦٤ وأعلنت عن تفجير القنبلة الهيدروجينية في سنة ١٩٦٧ .

وتمتلك الصين حسب معلومات معهد إستوكهولم العالمي لدراسة مشاكل السلام قاذفات متوسطة المدى (حوالي ٣٠٠٠ كيلو متر) وصواريخ باليستية تتمركز على الارض قادرة على حمل قذائف نووية قتالية .. وبحوزة جمهورية الصين الشعبية اكثر من ٧٠٠ شحنة نووية باستطاعة من ٢٠ كيلو طن حتى ٤ ميغاطن . وبدات اعتبارا من سنة ١٩٧٨ تدخل في تسليح الجيش الصيني اولى الصواريخ الباليستية عابرة القارات والتي بلغ مداها ٥ر٦ آلاف كيلو متر، كما اعلن في عام ١٩٨٠ عن تجارب لصاروخ عابر للقارات بمدى ١١ ـ ١٢ الف كيلو متر .

ولا تعتبر جمهورية الصين الشعبية من الموقعين على اتفاق موسكو لعام ١٩٦٣ حول عدم انتشار الاسلحة النووية ومنع اجراء التجارب عليها في الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء .

ان نهج وموقف الاتحاد السوفييتي من هذه المشكلة في غاية الوضوح ولفت الانظار عدة مرات الى ان تحليل توازن القوى بين طرفي المواجهة على الساحة الدولية لن يكون دقيقا اذا لم يأخذ في الحسبان المجهود النووي لكل من انكلترا وفرنسا . وأشار الاخصائيون السوفييت الى ان الاسلحة النووية لهاتين الدولتين موجهة الى اغراض داخل الاتحاد السوفييتي ومنظومة الدول الاشتراكية الاخرى . وهي كما يقول الاميركيون انفسهم مدعوة الى ان تكمل الوسائط النووية للولايات المتحدة الاميركية ذات التمركز المتقدم . من هنا فان للاتحاد السوفييتي كل المبررات لوضعها في اطر المحادثات حول السلاح النووي .

وينطوي الجانب الآخر لهذه المسألة على أنه اذا لم تكن دولتا انكلترا وفرنسا مستعدتين او راغبتين بالاشتراك في المحادثات او التوقيع على الاتفاقيات التي تتناول القوى النووية العائدة لهما فان هذا من شأنهما وحدهما وهو

موقف لايقلل من الاخطار المرتبطه بوجود أسلحة نووية لديهما ومن تطويرها باستمرار .

وتتضمن مذكرة « دفع الخطر النووي المتزايد وجمح سباق التسلح » التي تقدم بها الاتحاد السوفييتي للدورة الثانية للجمعية العمومية لمنظمة الامم المتحدة التي كرست لنزع السلاح مبدأ هاما يرتبط بالاسلحة النووية في أوروبا ، حيث ورد فيها ان الاتحاد السوفييتي مع تجريد اوروبا بالكامل من الاسلحة النووية متوسطة المدى والتكتيكية على حد سواء . وركزت هذه الوثيقة على أنه « اذا لم تكن الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها على استعداد في الوقت الحاضر لحل شامل لهده المسالة فان الاتحاد السوفييتي يمكن ان يوافق على تقليص تدريجي متبادل في كمية الاسلحة النووية متوسطة المدى » وقصارى القول ان الاتحاد السوفييتي وفر امكانيات كبيرة للوصول الى اتفاق حول تخفيض مستوى أسلحة المواجهة في اوروبا ، وبقي على اقطار اوروبا الغربية ان تدرك أنها لاتستطيع ان تاخذ موقف المراقب تجاه الخطر النووي الذي يتهدد العالم وقضية السلام في الوقت الراهن . ومن يسعى الى ذلك يعمل في واقع الحال على المماطله في الوصول الى اتفاق لنزع السلاح أملا في كسب الوقت لتطوير تسليحه .

ولفت وزير الدفاع السوفييتي د.ف. اوستينوف الانظار وهو يوضح موقف الاتحاد السوفييتي الى أنه في محادثات جنيف للحد من التسليح النووي في أوروبا تقدم السوفييت بمقترحات انطوي أهمها على انشاء منطقة اوربية واسعة لتقليص الاسلحة النووية والحد منها تمتد من المحيط المتجمد الشمالي حتى افريقيا ومن أواسط المحيط الاطلسي حتى جبال الاورال . واقترح ضمن هذه المنطقة تقليص الاسلحة النووية متوسطة المدى المتوفرة فيها (من ١٠٠٠ كيلو متر فما فوق على ان لاينطبق هذا على الصواريخ عابرة القارات) ليكون بحوزة كل من الجانبين الاتحاد السوفييتي وحلف الناتو بعد مرور خمس سنوات ٣٠٠ وحدة تسليح من هذه الفئة .

وكان من المفروض ان تخضع للقليص كافة أنواع الوسائط النووية

متوسطة المدى المتمثلة في الصواريخ والطائرات وحظر نشر انواع جديدة من الاسلحة النووية في هذه المنطقة بما في ذلك ـ كما كان من المفهوم ـ الصواريخ الاميركية نوع « بيرشينغ ـ ٢ » والصواريخ المجنحة على حد سواء .

ولم تشترط المقترحات السوفييتية ـ كما ذكر لاحقا ـ اية التزامات بالنسبة لدولة ثالثة سوي ادخال صواريخ وطائرات انكلترا وفرنسا ضمن تعداد الاسلحة الاميركية التي حدد ان يكون مجموعها ٣٠٠ وحدة تسليح متوسطة المدى حيث لايمكن للاتحاد السوفييتي اسقاطها من الحساب لانها موجهة ضده وضد حلفائه .

* * *

ومضات ساطعة وخاطفة فوق الاطلنطي

ومناطـق اخرى من العالم

انتشـار الاسلحـة النوويـة

اثار الوميض الساطع والغامض الذي سجله قمر الاستطلاع الصناعي الاميركي « فيلا » في ايلول عام ١٩٧٩ فوق جنوبي الاطلنطي هواجس ومخاوف المجتمع البشري من امكانية انتشار السلاح النووي وما يمكن ان يترتب عنه من آثار وخيمة يصعب التنبؤ بها .

فقد سجلت الاجهزة البصرية في « فيلا » وميضين تميزا بمعالم خطوط لانفجار نووي . وسرت معلومات مفادها ان اسرائيل وجمهورية جنوبافريقيا قامت بتفجير سلاح نووي قليل الاستطاعة في جنوبي الاطلنطي وهو استنتاج توصلت اليه ادارة الاستطلاع في وزارة الدفاع الاميركية ايضا . غير ان لجنة من العلماء شكلها البيت الابيض أكدت ان الوميض ليس الا نتيجة « لاحد الظواهر في الطبيعة » ولا علاقة له بتجارب نووية . وقلائل هم الذين اقتنعوا باستنتاجات اللجنة ، وما اقره كثيرون من علماء الذرة هو ان ذلك لم يكن سوى « محاولة للتستر على حقيقته » .

ويمكن في الوقت الراهن لاربعين دولة تقريبا امتلاك الاسلحة النووية تبعا لآراء الاخصائيين في هذا المجال منها اسرائيل وجنوب افريقيا اللتان بحوزتهما كما يبدو وقنابل نووية خاصة بهما ، فيما سيكون لباكستان مثل هذا السلاح في وقت قريب . ويوضح هؤلاء الاخصائيون انه في عام ٢٠٠٠ سيكون بمقدور ٦٠ دولة انتاج السلاح النووي ويشيرون في واشنطن الى ان تل أبيبوبريتوريا واسلام اباد في طريقهم الى « النادي النووي » .

الانضمام « للنادي النووي » :

يعود تاريخ صناعة الاسلحة النووية في جمهورية جنوب افريقيا الى الستينات عندما اقامت الولايات المتحدة الاميركية للعنصريين مفاعلين نوويين « سافاري » . وفي الفترة من عام ١٩٦٥ حتى ١٩٧٧ قدمت الولايات المتحدة لهيئة الطاقة النووية في جنوب افريقيا ١٣٦ كيلو غراما من اليورانيوم المشبع واجتاز اكثر من ١٥٠ عالما من جنوب افريقيا مرحلة تدريب في المخابر التابعة للجنة الطاقة النووية الاميركيه . وكان سعي الولايات المتحدة للحصول على فلزات اليورانيوم المستخرج من مناجم جنوب افريقيا عاملا هاما في التعجيل بتطوير الجهود النووية فيها أثناء سنوات « الحرب الباردة » حيث اشترت من بريتوريا ٤٣ الف طن من اليورانيوم لبرامجها النووية .

لقد نجح الفيزيائيون من جنوب افريقيا الذين تلقوا علومهم وراء المحيطات والعاملون الآن في المركز النووي القومي في بيليندداب الى الشمال ـ الشرقي من جوها نسبرغ في التوصل الى طريقة لاشباع اليورانيوم التي تعتبر أعقد واهم حلقة في التكنولوجيا النووية وأعلن عن ذلك رسميا في بريتوريا في تموز عام ١٩٧٠ . ولم يستمر الذهول والحيرة في دوائر العاملين بحقل الفيزياء النووية طويلا بفضل القصة المرتبطة باختفاء وثائق سرية من سفير جمهورية جنوب افريقيا لدى بون والتي ظهر فيما بعد انها وقعت بحوزة المؤتمر الوطني الافريقي وهو التنظيم الذي يتزعم نضال الملونين في جنوب افريقيا ضد العنصريين البيض وتبين من وثائق السفارة في المانيا الاتحادية ان علماء المان غربيين من المركز الحكومي للابحاث النووية في كارل سرويا « شاطروا » لا اكثر ولا اقل جنوب افريقيا تكنولوجيا توصلوا اليها فقد سربوا الى بريتوريا مايسمى بطريقة « الانشطار بالنفث » وابتيعت الاجهزة الضرورية لذلك من احدث الشركات الضخمة لصناعة الآليات في ميونخ وتم نقلها الى جنوب افريقيا في صناديق سيارات تحمل ارقاما دبلوماسية لاتخضع للتفتيش الجمركي .

لقد سمح عون الغرب لجنوب افريقيا بالتقليل من مشترياتها من اليورانيوم المشبع من خارج الحدود اذ تنتج بنفسها ٤٥٪ من احتياجاتها من هذه المادة،

ويشكل انتاج البلوتونيوم في هذه البلاد حوالي ٦٠٠ كيلو غرام سنويا حسب معلومات الصحافة الافريقية . لقد رضخت حكومة جيمي كارتر في حينها لضغط الراي العام الدولي فاوقفت صفقاتها من اليورانيوم المشبع الى بريتوريا حيث لم تصادق جنوب افريقيا على معاهدة عدة انتشار الاسلحة النووية .

ولم يحرم موقف الرئيس كارتر جنوب افريقيا من اليورانيوم المشبع فقد استمرت شحنات هذه المادة التي لاتقدر بثمن في الوصول الى بريتوريا ولم يتسن للصحفيين حتى الآن حل لغز الشركات الوسيطة التي تم عن طريقها توريد المواد الاولية للاسلحة النووية .

وتسترشد ادارة رونالد ريغان بمفاهيم اخرى اذ توصل البيت الابيض وعلى طريقته الخاصة الى القول ان اعلان بريتوريا عن رفضها للتوقيع على معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية سببه « التهديد السوفييتي » . ان الحكومة الامريكية ترفع وباستمرار الحظر عن تصدير المواد الانشطارية والتكنولوجيا النووية وهي بهذا تساعد على انتشار السلاح النووي فقد كان واضحا حتى في مستهل العصر النووي ان تصميم القنبلة والحصول على جزئيات نووية اسهل بكثير من الحصول على مادة منشطرة على درجة عاليةمن التركيز (حوالي ٩٠٪) كافية للتفجير النووي ، وكان هناك عدد قليل حتى من الدول الصناعية العظمى التي توفرت لديها تكنولوجيا اشباع اليورانيوم .

ماهي حاجة بريتوريا للقنبلة النووية ؟ لقد اوضح هذه المسألة معاون وزير الدفاع جنوب افريقيا في حينه حيث اعلن ان العنصريين يحتفظون « بحقهم » في استخدام اسلحة التدمير الشامل ضد الدول الافريقية المجاورة .

وفيما يتعلق باسرائيل توجد تقديرات مختلفة لحالة الخطط النووية الاسرائيلية ، غير ان معظم الاخصائيين يجمعون على ان تل ابيب تمتلك منذ زمن عددا من التجهيزات النووية القتالية ، ففي بداية الخمسينات تلقت اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية مفاعلا نوويا واجبرت الطموحات

التوسعية القادة الاسرائيليين على المراهنـة علـى القوى العسكريـة وايجاد « السلاح الاعجوبة » وتم السماح لمئات من علماء الفيزياء النووية الاسرائيليين بالاطلاع على أسرار التكنولوجيا النووية الامريكية .

واصبحت طرق اسرائيل في الحصول على فلزات اليورانيوم معروفة في الوقت الراهن ، اذ يلجأ العملاء الاسرائيليون الـى العمل باسلوب الاختلاس والدسائس . وما من شك في ان واشنطن تغض الطرف عـن أية انتهاكات للقوانين .

ويجري العمل في باكستان ايضا لانجاز صناعة السلاح النووي . والتسمية الرمزية لمجموعة الابحاث العلمية (وعلى قاعدة مادية ثابتة) هي (الخطة رقم ٧٠٦ . التي يجب ان توفر (لإسلام اباد) أجهزة التفجير النووي ولدى علماء الـذرة الباكستانيين المواد المنشطرة والتجهيـزات والتكنولوجيـا النوويـة الضروريـة .

وتاريخ كيفية حصول باكستان على كل ماهو ضروري للشروع بصناعـة القنبلة النووية هو الآخر معقد ومتشابك .

فباكستان لم توقع على معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية ولم تدخل في الوكالة الدولية للطاقة النووية ومن الناحية الرسمية لايمكنها الحصول على اي شيء يساعدها على امتلاك اجهزة تفجير نووية ، غير ان الصحافة الهندية اعلنت عـن اقامة منشآت في (روالبندي) غير بعيـدة عن (إسـلام أباد) لتكون قاعـدة لاشباع اليورانيـوم والحصـول علـى البلوتونيـوم بطريقـة استرجاع او اعادة تجديد نفايات وقود المفاعلات النووية . ويعتقد الاخصائيون ان مناجم النيجر التي تستغلها شركات غربية كانت مصادر اليورانيوم المركز لباكستان التي اشترت التجهيزات عن طريق وسيط ثالث مستفيدة مـن خدمات تقدمها شركات وعملاء صوريين قادرين على الاتيان بكل شيء ، فقد تنافست شركات انكليزية والمانية غربية وسويسرية على تقديم عروضها(لإسلام اباد) لتزويدها بكل مايلزمها في هذا المجال .

لقد تسنى للباكستانيين بطرق غامضة للغاية الحصول على منفذ للوصول الى الوثائق السرية للمجمع الاوربي الغربي النووي (اورينكو) وغاصوا عمليا في جميع اسرار التكنولوجيا النووية الحديثة . ومع كل هذا ليس هناك مايدعو للدهشة اذ ان للمشروع النووي الباكستاني سند قوي يتمثل في المساعدات العسكرية ـ الاقتصادية الضخمة التي قدمتها الولايات المتحدة الامريكية لإسلام أباد في السنوات الاخيرة حيث بلغت مليارات الدولارات ، ومنها حسب التفاصيل التي تكتمل بعد مفاعل نووي ومقاتلات ف ـ ١٦ التي ستصبح حاملات « للقنبلة الاسلامية » . وترى واشنطن انه يتعين على باكستان ان تكون اداة وركيزة التأثير الامريكي في المنطقة .

الابتزاز النووي :

وهناك سبب آخر يدعو للقلق من انتشار الاسلحة النووية ، اذ يمكن للقنبلة الذرية ان تقع في ايدي الارهابيين والمجرمين . واذا كان من حسن الحظ ان هذا الاحتمال لازال محور روايات بوليسية فان هناك اسباب لها مبرراتها للتحذير من ذلك . فقد كشفت صحيفة « واشنطن ستار » سر وثيقتين أعدتهما هيئة التفتيش الرئيسية في الكونغرس تشهدان ان بعض القواعد الامريكية في اوربا الغربية عرضة لهجوم الارهابيين ، وهذا يتعلق بشكل رئيسي بصواريخ وقذائف وقنابل ذات حشوات نووية .

ويمكن لاي شخص الاقتراب من صواريخ « بيرشينغ » في احد القواعد في المانيا الغربية بحيث تستطيع طلقة بندقية ـ كما جاء في التقدير ـ ان تسبب انطلاق الصاروخ اذا اصابت محركه .

واعترف المشرفون على مصلحة توفير الامن في احدى القواعد العائدة للبحرية الامريكية انه يمكن للارهابيين الوصول خلسة الى المساتر التي تحفظ فيها رؤوس نووية .

وثبت انه جرى نقل اسلحة نووية من مكان الى آخر دون حراسة مسلحة في احدى قواعد جزر المحيط الهادي .

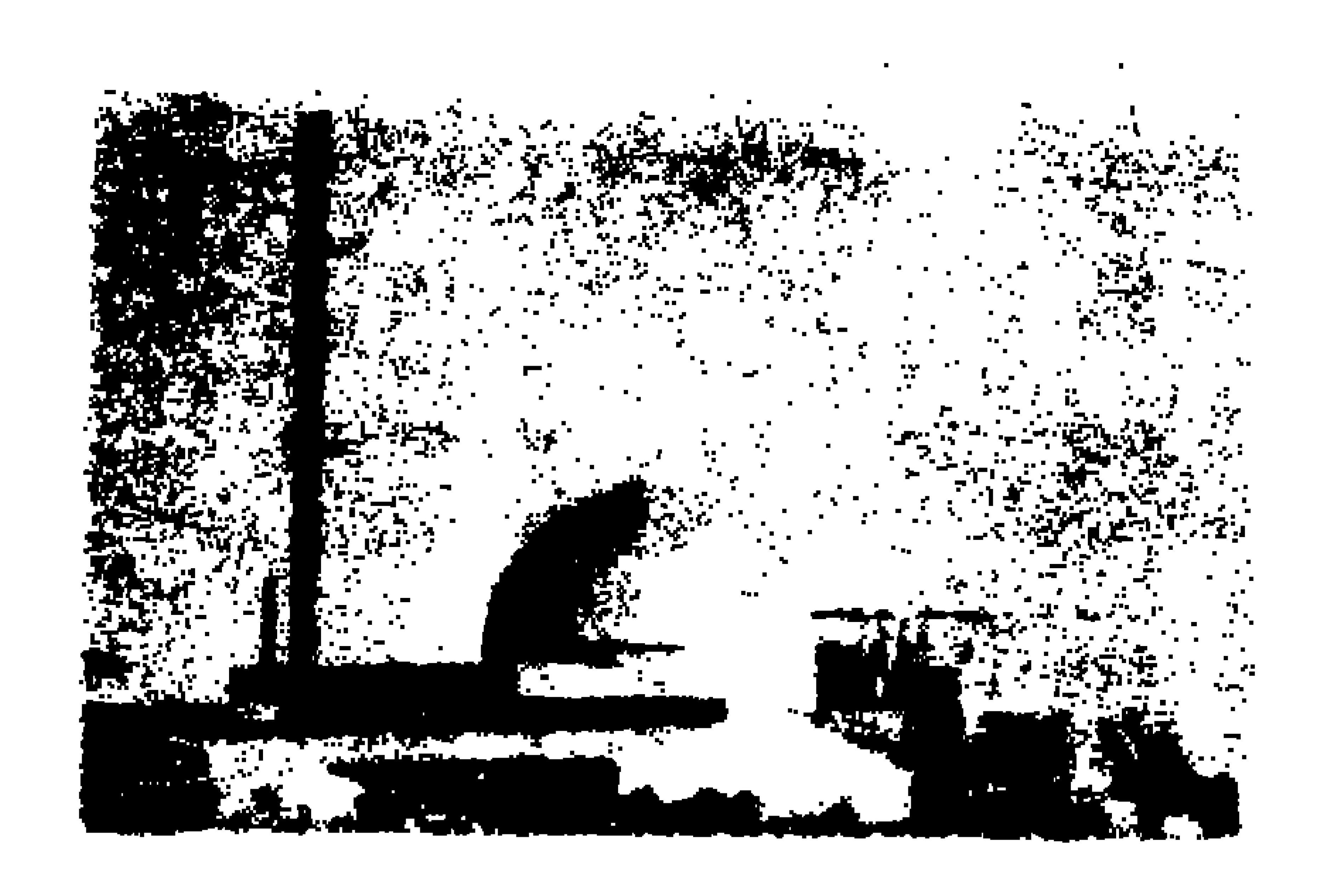
وفضلا عن ذلك من الصعوبة بمكان الثقة بالجنود الامريكيين القائمين على حراسة الاغراض النووية ، حيث يوجد في اواسط « جي . آى » المقيمين في اوربا الغربية مدمنون على تعاطي المخدرات وتناول المشروبات الروحية ، وتجرى من حين الى آخر عمليات ترحيل جماعة لهؤلاء « الجنود المثاليين » الى ماوراء المحيط . غير ان الذين يستعاض بهم عنهم يكونون ممن لم يقلعوا عن هذه العادات السيئة . وما من أحد يستطيع ان يضمن اصابة احدهم بهوس العبث « بدمية نووية » .

ان التطور الحالي لاساليب التقنية يطرح سؤالا حول امكانية قيام منظمة ارهابيه ما بتصميم وبالتالي امتلاك سلاح نووي .

وبطبيعة الحال فان الشكوك لاتساور احدا باستحالة تصنيع هذه القنبلة في حدود وامكانيات « شروط منزلية » ، غير ان حديثنا يجري على لسان مجموعة من الخبراء الغربيين يفترض تحضير مثل هذا السلاح الذي يمكن حفظه في براد منزلي واستطاعته أكبر بخمس مرات من القنبلة التي القيت على هيروشيما .

وفي عام ١٩٧٢ شكل في الولايات المتحدة الامريكية وتحت شعار من السرية التامة فريق « ينست » (مجموعة كشف اجهزة التفجير النووية) مهمته مكافحة محاولات الانزال النووي ووضعت تحت تصرفه انواع متعددة للكشف عن المواد المشعة .

وفي السنوات العشر الاخيرة تم تسجيل ٦٠٠ حادثة للابتزاز النووي في الولايات المتحدة الامريكية ومن الثابت الى الآن ان القنبلة النووية لم تشارك في هذه اللعبة لقد تمكن احد المبتزين بالفعل من الاستيلاء على مادة مشعة ، حيث أقدم موظف يعمل في محطة كهربائية تعمل بالطاقة النووية في (كارولينا) الشمالية على سرقة ٧٠ كيلو غرام من اليورانيوم قليل الاشباع وكان هذا في كانون الثاني من عام ١٩٧٩ . ولم يستطع فريق « نيست » كشف اليورانيوم المسروق الا بعد ان القى البوليس الفيدرالي القبض على الفاعل .



المركز النووي الاسرائيلي في ديمونة

تجاهل القوانين :

لقد انتهكت واشنطن التعهدات التي اخذتها على عاتقها (والمثبتة قانونيا) في عدم انتشار الاسلحة النووية بالنظر للمساعي العسكرية للادارة الاميركية في تطوير رصيدها من السلاح النووي . ولدى البنتاغون خطط طموحة للغاية في زيادة ترسانته النووية اذ تنوي الولايات المتحدة خلال السنوات الست القادمة حسب ماجاء في « واشنطن بوست » ان تضع قيد الانتاج رؤوس نووية جديدة للصواريخ الباليستية عابرة القارات «مينتمين ـ٣» والصاروخ الباليستي « ترايدينت ــ ١ » للغواصات ، وصاروخ ذي نصف قطر عمل غير كبير « لينس » ، وصاروخ مجنح يمكن تمركزه على الارض وتركيبه على الطائرات وقنبلة نووية تكتيكية جديدة وصواريخ «بيرشينغ ـ٢» وفضلا عن ذلك فقد تم الانتهاء من تصميم رؤوس نووية لصواريخ م.اكس ولقذيفة مدفعية نووية جديدة عيار ٨ بوصة ويتطلب تنفيذ هذا البرنامج حوالي ١٥٠ طن بلوتونيوم يتوفر منها في الوقت الحاضر في الاحتياطات الاستراتيجية الاميركية حسب ماجاء في « الغارديان » ١٠٠ طن تقريبا فما السبيل الى تغطية العجز ؟ .

اقترحت لجنة ادارية مشتركة من البنتاغون ووزارة الطاقة اعتماد ٣ مليارات دولار لاقامة مفاعل لاغراض عسكرية فقط بالاضافة الى ٥٠٠مليون

دولار لتطوير صناعة اسلحة نووية غير ان تشغيل مفاعل جديد مرهون بمستقبل غير قريب ؛ لذا صرح وزير الطاقة إدواردز منذ زمن ليس ببعيد امام اجتماع الخبراء في انتاج الطاقة « اننا بحاجه ماسة لكميات اضافية من البلوتونيوم لبرامج التسليح وافضل وسيلة للحصول عليها من وجهة نظري – التي أرى فيها حلا لمشكلتكم – هي في نفايات المحطات الكهربائية العاملة بالطاقة النووية حيث تحتاج لاعادة معالجة لاستخلاص البلوتونيوم منها » .

وتشكل عملية استرجاع الوقود النووي المستهلك في المحطات الكهربائية النووية الخاصة انتهاكا لمعاهدة عدم انتشار السلاح النووي التي جاء في نصوصها انه يجب الا تكون هناك أية علاقة للاغراض النووية المدنية بالبرامج العسكرية .

وفي الوقت الراهن أصبح بالامكان وبسهولة متناهية استخلاص البلوتونيوم من الوقود النووي المستهلك بفضل التقدم التكنولوجي واستخدامات اللايزر كما تشير الى ذلك الصحافة الاميركيه .

وتنجم عن عملية استرجاع الوقود النووي المستهلك سلسلة من المعضلات لايمكن التكهن بعواقبها ؛ اذ يشكك الخبراء بامكانية مراقبة انشطار المواد بشكل تام يدعو للاطمئنان في المنشآت الخاصة . واورد تقرير اعده فرع للجنة تفتيش تحذيرات من بوادر تنذر بالاخطار اذ تبين ان في نظام الحسابات للمحطات النووية الكهربائية ثغرات يمكن منها لاياد اخرى الحصول على شحنات نووية . ومن هذه الامثلة المجمع النووي في ولاية تينيسي الذي يزود بالوقود النووي كافة السفن الاميركيه التي تعمل محركاتها بهذه الطاقة فقد اصبح من المألوف كما تشير الى ذلك « الغارديان » اسقاط كيلو غرام من اليورانيوم المشبع لدرجة عالية من الحساب كل شهر وهي كمية كافية لانتاج أربع قنابل نووية في العالم .

ومن الاهمية بمكان عدم السماح لانتشار تكنولوجيا نووية على جانب كبير من الخطورة تتمثل في توفير امكانيات لشطر المواد الصالحة لانتاج الاسلحة واخطر حلقة في هذه التكنولوجيا هي عملية اعادة معالجة الوقود النووي

للمحطات الكهربائية التي يمكن بنتيجتها الحصول على البلوتونيوم حشوة القنابل النووية .

ويتعين على كل من يسرب تكنولوجيا نووية لحكومات لم توقع على معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية ادراك انه يعرض العالم أجمع للاخطار لقاء مكاسب على الخريطة .

وتبنى الكونغرس الاميركي قانونا حول عدم انتشار الاسلحة النووية ويراعي كذلك تطبيق عقوبات ضد أية دولة تورد تكنولوجيا استرجاع الوقود النووي لحكومات لاتمتلك اسلحه ذرية .

ان حكومة « رونالد ريغان » تتجاهل قوانين بلادها باعلانها عن برنامج كبير للتصدير النووي ، حيث اكدت اكثر من مرة انها تعتبر سياسة سابقاتها من الحكومات « جائرة للغاية ولا تتصف بالمرونة » . وتريد واشنطن بهذا ان تعيد الى الاذهان مركز الولايات المتحدة الاميركية كمصدر نووي رئيسي لتمارس ضغطا تجاريا يعبر عن عدم الرغبة في التفريط بعقود تعود عليها بالفائدة . ورغبه الصناعة النووية هي البدء بتصدير السلاح النووي خارج الحدود .

ان الخطر النووي المميت المتمثل بالادارة الشريرة لواشنطن يمكن ان يزحف على كوكبنا .

* * *

لاغالـــب ولا مغلـــوب
عواقـب الكارثـــة النوويـــة

سؤال : كيف تتصورون نصر في حرب نووية ؟

جواب : يلزم تأمين الابقاء على قيادة عليا والحفاظ على المجهود الصناعي وتوفير الحماية لنسبة محددة من السكان ، اضافة الى امتلاك امكانية الحاق خسائر فادحة بالعدو أكبر مما يمكنه انزالها بنا . بهذا يمكن احراز نصر .

سؤال : وما هي نسبة السكان الذين سيتبقون على قيد الحياة ؟ هل هي ٢٪ ؟ أم يمكن ان تكون ٥٪ ؟

جواب : اكثر من ٥٪ حتى لو استخـدم الجانبان كل مالديهما مـن احتياطات . . . .

كانت هذه اجابة «جورج بوش» نائب رئيس الولايات المتحدة الاميركيةعلى اسئلة مراسل صحفي .

ان العلماء الفيزيائيين وممثلي الهيئات والحركات الوطنية « حكماء العالم لتلافي حرب نوويـة » وعديـد مـن الخبراء العسكـريين أقل تفاؤلا بهـذا الخصـوص .

فنصيب كل انسان من المواد المتفجرة النووية يكافيء ثلاثة أطنان مـن ماده ت.ن.ت، وهو مايشكل بمجموعة أكثر من مليون قنبلة كتلك التي دمرت (هيروشيما) . هذا هو المخزون النووي في كوكبنا في الوقت الراهن .

ماذا ينتظر البشرية لو ان أحدا من أولئك الذين يتفلسفون بكل بساطة عن حرب نووية « محدودة » وامكانيه الخروج منها منتصرا «اعطى عود ثقاب» لهذا المخزون النووي ؟

نعود أولا الى « البروفه الاخيرة » التي اجرتها واشنطن في نهاية الحرب العالمية الثانية لانها تمثل سفر الرؤيا الشامل .

التجربة الاولى :

هيروشيما ـ مدينة كان عدد سكانها ٢٥٥٢٠٠ شخصا في عام ١٩٤٥ . تعرضت لتاثير قنبلة نووية استطاعتها ١٢ر٥ كيلو طن فاودت بحياة ٧٨١٥٠ شخصا وانقطعت اخبار ١٣٩٨٣ آخرين فيما تعرض للاصابة بالاشعاع ٣٧٤٢٤ انسان . ناغازاكي ـ مدينة بلغ عدد سكانها ١٩٥٢٩٠ شخصا عام ١٩٤٥ . القيت عليها قنبلة نووية باستطاعة ٢٢ كيلو طن فلقي ٢٣٧٥٣ شخصا حتفهم واختفت آثار ٢٣٣٤٥ انسانا فيما أصيب بالاشعاع ١٩٢٤ شخصا . تنتشر ناغازاكي على منطقة كثيرة التلال ولهذا كان عدد الضحايا أقل .

ونذكر بالعوامل الرئيسيه للانفجار النووي التي تصيب الانسان وهي موجة الصدمة . الوهج الضوئي (الحراري) : الاشعاع الاولي (اللحظي) والاشعاع الذري تدوم الاصابة به لفترة طويلة .

وقد تم الاحساس بالوهج الضوئي للكرة النارية على مسافة بلغت حتى ٦ كيلو متر من مركز الانفجار ، فيما اتت موجة الصدمة على مباني فازالتها من الوجود واجتاحت الحرائق مساحة ١١ر٥ كيلو متر مربع في (هيروشيما) و ٩ كيلو متر مربع في ناغازاكي تسببت في هبوب رياح بسرعة حتى ٥٥ كيلو متر ساعدت على زيادة الاشتعال فاتت السنة اللهب على القرى والمزروعات وتحول الناس الى مشعل . ويقول شاهد عيان « ... كانت الاجساد البشرية ملقاة على الشوارع في كل مكان ، بعضها جثث هامدة ، واخرى تظهر عليها علائم الحياة ، وبدا منظر الاحياء رهيبا ومفزعا اكثر من مناظر الموتى ، اذ كان هناك أناس يزحفون وقد برزت عيونهم من محاجرها يتلمسون ـ بقدر ماتسعفهم الذاكرة ـ الطريق الى النهر ليطفئوا ظماهم . لم تعد لهم هياة مخلوقات بشرية ، بل كان منظرهم يذكر بمشاهد يرقات حشرات هوت من أوراق الشجر على الارصفة ... وهاهي تعج الآن لاحول لها ولا قوة لها ... » .

لقد لقي ٨٤٪ من الناس الذين تصادف وجودهم خارج مايحميهم وعلى

بعد كيلو مترين من مركز الانفجار حتفهم على الفور ولفح الحريق ضمن مساحة نصف قطرها اربعة كيلو مترات ٩ر٨٦٪ من سكان (هيروشيما) و ٨ر٧٣٪ من سكان (ناغازاكي) . وكان ضحايا القطع المتطايرة من انقاض المباني نتيجة موجة الصادمة ٨ر٨٢٪ من سكان (هيروشيما) و ٦ر٧١ في (ناغازاكي) .

وتعرضت لتدمير كبير المباني التي كانت على مساحة ٢ر١٣ كيلو متر مربع في (هيروشيما) و ٧ر٦ كيلو متر مربع في (ناغازاكي) .

وفي اليوم العشرين تبين ان من مجموع مابقي على قيد الحياة : ٩ر٣٤٪ مرضى بالاشعاعات و ٦ر٢٠٪ يعانون من حروق و ٥ر٣٥٪ جرحى .

ودعت الحاجة الى ادخال ٦٥٪ من المصابين الى المستشفيات ، وهنا تكمن المأساة ، اذ توفي في الاشهر الاربعة الاولى مايعادل ٥٠٪ حتى ٩٠٪ من الاطباء وتمكن اقل من نصف من بقي على قيد الحياة من العاملين في الخدمات الطبية من القيام بواجبهم .

وساءت عمليات نقل الجرحى والمرضى ومعالجاتهم بسبب الركام في الشوارع والحرائق والخلل في امداد المياه ونقص المواد الطبيـة وتكدست الجثث اكواما ثم احرقت ليس فقط دون التعرف على اصحابها وانما بلا احصاء ايضا . وهام الناس الذين صعقتهم المفاجأة المروعة على وجوههم في الشوارع على امل العثور على احد اقربائهم بين الاحياء او الاموات في الساحات والحافلات المدمرة الغاصة بالركاب . وتناثرت الفضلات والقاذورات هنا وهناك دون ان يهتم بها احد ، اذ انتاب الجميع الرعب او الشعور باللامبالاة لرؤية المشوهين والموتى ...

وامتدت الآثار المميتة لقنبلة (هيروشيما) عشرات السنين بعد انفجارها، اذ لوحظت ظواهر عدم نمو طبيعي لدى ثلثين من الاطفال الذين تواجد آباؤهم في (هيروشيما وناغازاكي) ايام النصف فولدوا وهم يحملون عاهات وراثية ، وشكلت نسبة الذين من الثلاثين (وكانت اعمارهم حوالي عشر سنوات وقت الانفجار) عام ١٩٦٥ في هاتين المدينتين ٤ر٨٪ ، بينما بلغت النسبة الوسطية هذه في اليابان ككل وخلال العام نفسه ٨ر٣٠٪ .

ان الانخفاض الحاد في جيل الشباب (بمقدار اربع مرات تقريبا) يترتب عنه بالضرورة انخفاض لاحق في نسبة المواليد وتباطؤ في عملية تعاقب الاجيال بشكل متناسق ورفد المجتمع بالطاقات المنتجة . وقد شهدت مثل هذه المعاناة البلدان التي ذاقت ويلات الحروب ولا شك في ان ابعاد ومدة استمرار هذه تلك هي نتائج « البرومة الاخيرة » .

الآثار في اعقاب انفجار نووي لم ولن يكون لها مثيلا .

عملية « سموبكي » :

الزمان ـ الساعة الخامسة والنصف من صباح يوم ٣١ آب عام ١٩٥٧ .
المكان ـ صحراء نيفادا في الولايات المتحدة الامريكية .

قام البنتاغون خلال مشاريع عسكرية فوق صحراء نيفادا باشتراك ٣٢٢٤ جنديا بتفجير قنبلة نووية استطاعتها ٤٨ ميغاطن . وتهدف المشاريع حسب ماأوردته لجنة الطاقة النووية (الآن لجنة التنسيق اللرية) الوقوف على حقيقة « هل يستطيع الجندي المدرب جيدا الحفاظ على سلامة التفكير والاستمرار في القتال تحت ظل سحابة الانفجار النووي التي تأخذ شكل نبات الفطر » .

لقد تعرض حوالي ٧٠٠ من المشاة الذين قاموا بهجوم على قوات «العدو» للصدمة النووية . قطعات اخرى تم ايصالها لهذه المنطقة على حوامات بعد مرور نصف ساعة على الانفجار ، ومجموعة ثانية من القوات خرجت من المستتر وتوجهت نحو منطقة الانفجار فاصيبت باكبر قدر من جرعات الاشعاع .

واكدت الحكومة كما جاء في صحيفة « نيوزدى » للمشتركين في التجارب ان المناورات لم تشكل اية خطورة بالنسبة لهم ، واكثر من ذلك لم يجر التخطيط لاجراء كشوف طبية لاحقة عليهم .

ولم تتكشف بعض الحقائق الا بعد انتزاع احد الجنود وهو « بول كوبر » قرارا يحق له بمقتضاه الحصول على تعويض مالي بسبب العجز عن العمل

من هيئة تعني بشؤون المحاربين القدماء وذلك لاصابته بمرض ففر الدم خلال اداء الخدمة في الجيش ، وروى نجمة حياته للصحافيين ، عندئذ تم الشروع في التحقيق واجراء التحريات .

واثبت العلماء ان نسبه الاصابات بمرض فقر الدم في اواسط المشاركين في عملية « سموبكي » أعلى بثلاث مرات من المستوى العادي وان نسبة الاصابات بأنواع من مرض السرطان تفوق على اقل من تقدير المعدل بنسبة ١٤٪ .

لقد قامت لجنة الطاقه النووية المذكورة في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٦٢ بمائتي وخمس وثلاثين تجربة نووية في الفضاء جرى معظمها في صحراء (نيفادا) والمحيط الهادي واشترك فيها أكثر من ٢٥٠ الف انسان.

ولم يكن مجرد ارتياب أو اشتباه ماعاناه سكان مدنيون من تجارب البنتاغون ، ففي آذار من عام ١٩٥٤ وأثناء القيام بتفجير نووي في جزر مارشال أدى تبدل مفاجيء على اتجاه الريح الى سقوط الغبار الذري ومواد اشعاعية على المواطنين الاصليين لعديد من الجدر المرجانية . وكانت أقوى الجرعات الاشعاعية هي تلك التي تعرض لها صيادوا اسماك السفينة الشراعيةاليابانية « فوكوريو — مارو » التي تصادف وجودها في المنطقة الملوثة .

ان المخالفات الاشعاعية للانفجار النووي هي مذبح لاكثر من ٢٠٠ من النظائر المشعة لستة وثلاثين عنصرا كيميائيا وتتراوح فترات انتهاء مفعولها بين أجزاء الثانية وملايين السنين وكانت المساحة الاجمالية للحوض المائي في المحيط الهادي الذي تلوث بالاشعاعات ١٨ الف كيلو متر مربع نتيجة قيام الولايات المتحدة بتفجير حراري نووي استطاعته ١٥ ميغاطن عام ١٩٥٤ في الجزيرة المرجانية (بيكينا) .

ومع كل هذا يرى العلماء ان لامأساة المدنيين اليابانيين ولا التجارب سيئة الذكر للبنتاغون التي لاتنم عن المسؤولية يمكن مقارنتها بابعاد كارثة نووية محتملة وآثارها على مصير الحضارة .

ونورد — على سبيل الذكر لا الحصر — بعض الحسابات .

قنبلة نووية باستطاعة واحد ميغاطن :

يفوق وهج الكرة النارية الناشئة بعد مرور ۱ ...ر. ثانية على انفجار قنبلة باستطاعة واحد ميغاطن وعلى مسافة ۱۰۰ كم ۳۰ مرة وهج شمس مداريه في منتصف النهار (عندما تكون الجو على درجة عالية من الصفاء والشفافية) . وتظهر الحروق على اجساد الناس المتواجدين على مسافة ١٥ كيلو متر من مركز الانفجار .

ويستدعي تقديم مساعدة فعالة لمئة من المصابين بحروق خطيرة عملا جادا من قبل كافة المراكز المختصة في دولة كبيرة ومتقدمة . ويمكنها عند العمل باقصى طاقة زيادة قدرتها بمقدار ۳۰ مرة .

لقد كانت الاصابات بحروق خطيرة في مدينتين يابانيتين فقط عشرات الآلاف . وخلال عام وعلى امتداد الولايات المتحدة الامريكية بكاملها استخدمت كميات من دماء المتبرعين بمقدار ماكانت تحتاجه المدينتان المنكوبتان (هيروشيما وناغازاكي) في يوم واحد .

وتوصلت مجموعة من خبراء المعهد الطبي الملكي الانكليزي وممثلين عن الحكومة البريطانية الى استنتاج حول امكانية تقديم العون الطبي لآلاف عديدة من الناس الذين سيعانون من حروق وصدمات لحظة الانفجار : غير ان الصحيفة الانكليزية « غارديان » اطلعت قراءها على خطط سرية لهذه المجموعة تتعلق « بالقضاء » على سيء الحظ « القليل من معاناتهم » وانه ستكون هناك « معالجة جزئية اختيارية » لعدد غير كبير من المصابين . ومن المفترض ان توكل مهمة « القضاء » هذه لوحدات خاصة من الجيش والبوليس ، ومن الواضح تماما ان الصفوة المختارة التي ستعمل اللجنة على معالجتها هي من اوساط اصحاب المال والنفوذ في السلطة ...

وسيسبب انفجار قنبلة باستطاعة واحد ميغاطن في ظروف فيها درجة عالية من الوقاية نسبيا اصابه سكان يتواجدون على مساحة ٤٦٠٠ كيلو متر مربع بأمراض ناجمة عن الاشعاعات فيما سيلقى حتفه كل من يتواجد في منطقة مساحتها ۱۷۰۰ كيلو متر مربع .

وتشكل الجرعات الاشعاعية على مساحة ١٦٥٠٠ كيلو متر مربع من ٢٠ حتى ١٠٠ راد (راد هو وحدة قياس الطاقة الممتصة من الاشعاعات المتاينة ، وسيتحدد تبعا لكثافة السكان في هذه المنطقة مصير من سيبقى على قيد الحياة بعد الانفجار .

وتتمثل أكثر المخاطر بالنسبة للاطفال في استهلاك الحليب الملوث باشعاعات اليود قد تصل الجرعات الاشعاعية للغدة الدرقية بهذه الطريقة الى عشرات آلاف راد) .



(شكل للتجارب النووية في صحراء نيفادا)

قنبلة النيترون :

ان العامل المؤثر الرئيسي في الاسلحة النيترونية هي الاشعاعات الاولية للانفجار النووي والتي تعتبر اشعاعات نفاذة مكونة بشكل رئيسي من سيالة نيترونات سريعة وكمية من أشعة (قاما) ذات طاقة عالية .

ويمكن ان تصل جرعات الاشعـاع خارج حدود تأثير موجة الصدمة والوهج الضوئي مئات آلاف (راد)او مئات (غرى)(غرى ـ وحدة قياس الجرعة

المنصة من الاشعاعات المتأينة) ويتصف الاشعاع النيتروني من بين مختلف انواع الاشعاعات المتأينة الناشئة عن انفجارات نووية باكبر اثر بيولوجي يمكن ان يلحقه بالانسان ويعود ذلك الى خصائص التأثير المتبادل بين النيترونات والانسجة البيولوجية وبنيتها .

وتشكل منطقة الاشعاع المميت لسلاح نيتروني باستطاعة واحد كيلو طن مساحة تبلغ ٥ ــ ٨ كيلو متر مربع . والمسافة بين المناطق المأهولة بالسكان في اوربا حيث تخطط الولايات المتحده لنشر قذائف نيترونية واستخدامها لاتتجاوز عادة ١ ــ ٢ كيلو متر .

ان اعداد ضحايا السكان الآمنين ستتضاعف بالمقارنة مع انفجار نووي تقليدي فضلا عــن ان الاحياء سيتعرضــون لجرعات اشعاعية اكبر واخطر بكثــير .

ويمكن في الوقت الراهن وتبعا لمقدار تجرع الاشعاع التمييز فيالتشخيص الاكلينيكي بين انواع متعددة من الامراض تصيب الاعصــاب والامعاء ومح العظــام .

تظهر امراض الاعصاب عند تجرع الانسـان حوالي ٨٠ (غرى) او اكثر وتسـبب جرعات الاشعاعات المتأينة الحاق التلف مباشرة بالخلايا الدماغيــة تتبعه على الفور لدى المصابين حالات مــن التقيؤ المستمر لايمكن مقاومتــه وصداع حاد وانهيار في قوى العضلات وتشنج ثم تعقبها حالة من الغيبوبة. ويمكن ان تستمر سكرات الموت لعدة ساعات ، واذا لم تدرك المنية المصاب في الدقائق او الساعات الاولى فان خلل الاعصاب يتزايد فيما بعد . ويستحيل من الناحية العملية تخفيف هذه المعاناة .

وتؤدي الاصابة بجرعات تتراوح بين ١٠ و ٨٠ (غرى) الى امراض حادة في الامعاء ينجم عنها بالدرجة الاولى تعطيل الجهاز الهضمي ومن اغراضه احمرار الجلد بسرعة وزيادة في نبضات القلب ثم انخفاض في ضغط الدم . وترتفــع حرارة الجسم الى حوالي ٣٩ درجة مئوية . وتظهر في الفترة مابين اليــوم الثالث والسابع امراض حادة في الجهاز الهضمي وتسبب الحروق الناجمــة

عن الاشعاعات آلاما مبرحة وان اية ملامسة (حتى من شرشف السرير ؟للقسم المصاب من الجلد تنشأ عنها معاناة لاتطاق . ويبدأ الشعر بالتساقط على شكل حزم صغيرة ويعقب ذلك حمى شديده ، ثم يفقد الجسم وبسرعة كميات كبيرة من الماء . وتدرك المنية امثال هؤلاء المصابين في نهاية الاسبوع الاول او بداية الاسبوع الثاني عادة .

وعند تلقي جرعات اشعاعية من ٦ حتى ١٠ غرى فانه لايمكن ايضا من الناحية العمليه تفادي الموت الذي تنشا عن عجز مح العظام في القيام بوظيفته نتيجة تلفه ويحين الموت في حدود اسبوعين او اربعة اسابيع من الاصابة .

وتبلغ الفاعلية الاشعاعيه للنيترونات المنطلقة من انفجار حشوة باستطاعة واحد كيلو طن على سطح التربة والاجسام المعدنيــة والمواد الغذائيــة عشرة اضعاف فاعلية اشعاعات انفجار نووي تقليدي بنفس الاستطاعــة . ويؤدي انفجار شحنة نيترون بقوة واحد كيلو طن على ارتفاع عدة مئات من الامتار الى اصابة ٣١٠ هكتار من غابة صنــوبر او ١٤٠ هكتار مــن مساحات مغطــاة بالحشائش .

مليون قنبلة هيروشيما :

كثيرا مايحلو لبعض انصار نظرية الحرب النووية « المحدودة » في الغرب الاستشهاد (بهيروشيما) كمثال يتذرعون به في ان ضربة نووية لاتعني نهاية البشرية ؛ فهاهي المدينة التي دمرت تقريبا قد خرجت من المأساة واصبحت افضل حتى مما كانت عليه في الماضي . ونعيد الذاكرة ان الارقام الحقيقيــة لضحايا (هيروشيما) لم تنشر الى الآن بعد ، فالموت بالاشعاع لم يرحم حتى الاطفال الذين ولدوا لاناس لم يساورهم ادنى شك في انهم نجوا من القصف. فكيف سيكون الحال عليه الآن وقد تكدست في العالم اسلحــة دمار نوويــة تساوي مليون قنبلة (هيروشيما) !

لقد جاء في حسابات الخبراء انه عند تبادل ضربات نووية كثيفة سيموت مايقرب من نصف سكان المناطق التي تتعرض للهجوم وذلك خلال الســاعات

والايام الاولى من المعاناة الاليمة . وبشكل هذا العدد في اوروبا حوالي ٣٠٠ مليون انسان . وسيلقى معظم الذين سيظلون على قيد الحياة حتفهم خلال نصف الشهر او الشهرين اللاحقين متاثرين بالحروق والاصابات والاشعاعات وبسبب نقص وسائل العيش وحرمانهم من الاسعافات الطبية الاولية . ومهما يكن فان كل من سيحالفه الحظ وينقل في الوهلة الاولى سيظل يعاني من معوقات خطرة في الناحيتين الجسدية والروحية . وعليه ستكون مأساة مابعدها مأساة يحسد الاحياء فيها الاموات .

ان هذه البنية المثالية والمتنامية للمجتمعات وصحة الاجيال القادمة سيتم الاخلال بها بشكل فظ . وستكون الآثار وخيمة بشكل خاص على النساء الحوامل والاطفال ، حيث ستنجم عنها حالة تشويه للتركيب السكاني لامد طويل يصعب معها التنبؤ بمصير الحضارة ككل .

والعدد المتوقع للناس الذين يمكن ان يهلكوا من الاورام الخبيثة الناشئة عن « هطولات » « ستراتوسفيرية » بعد ضربة نووية كثيفة باستطاعة ٥ آلاف ميغاطن يفوق مليون انسان . وستظهر لدى ٤٠٠ الف من ذريتهم عاهات وراثية ، كما ستسبب الهطولات الاشعاعية « التروبوسفيرية » والمحلية أوراما خبيثة لدى ١٠ ملايين انسان في نصف الكرة الشمالي حيث يحتمل ان يكون الصراع النووي أعنف وعاهات وراثية لثلاثة ملايين من نسل الآباء الذين يقطنون في هذه المنطقة ويمكن الافتراض ان حوالي مليون من الاطفال سيعانون من تخلف عقلي بسبب الاشعاعات التي سيصابون بها وهم اجنة .

وبدأ التفكير ينصب منذ زمن ليس ببعيد نسبيا على احد مظاهر الحرب النووية وهو امكانية قصف المفاعلات النووية واماكن التخلص من مخلفات المواد الاشعاعية مما سيجلب شرورا اخرى فوق شر الاسلحة النووية .

ان النتيجة الحتمية لصدام على نطاق واسع هو تلوث الطبيعة في كل مكان وسيؤدي الانتشار الواسع للاشعاعات الاصطناعية التي تعرض كافة المخلوقات الحية دون استثناء « الهطولات الشعاعية » تتشكل على مراحل تكون في البدايات محلية ثم تعقبها ولفترات طويلة هطولات على نطاق الكرة الارضية بكاملها .

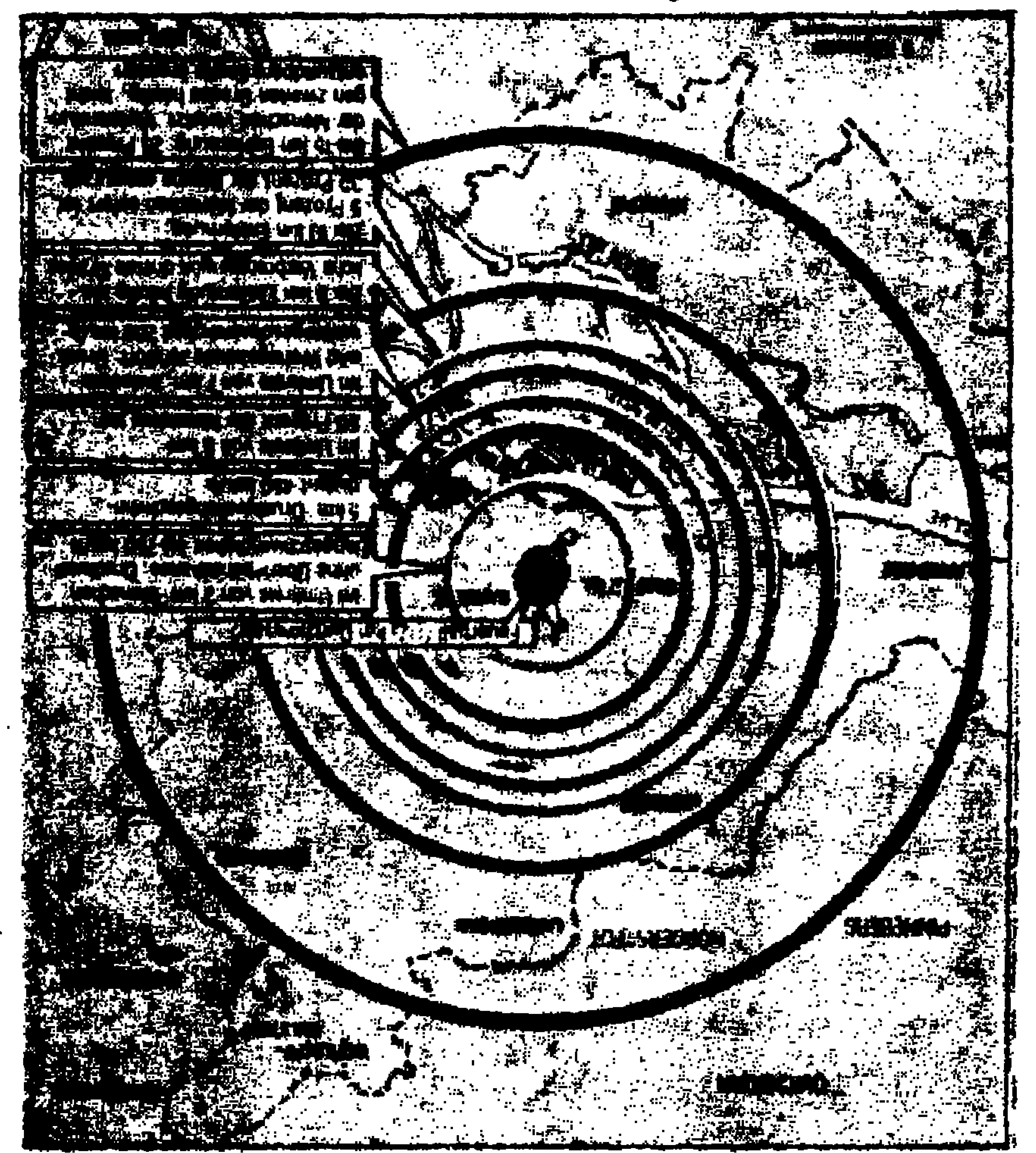
ويستشهد الكاتب الاجتماعي الاميركي جي شيل بهذا المثال : يمكن لشحنة نووية يجري تفجيرها على ارتفاع ٢٠٠ كيلو متر فوق مدينة اوماخا (ولاية نيبراسكا) ان تسبب توليد نبضة كهرطيسية قادرة بما فيهالكفايةعلى تخريب الشبكة الكهربائية في القسم القاري للولايات المتحدة الاميركية بكامله وان يمتد أثرها الى بعض المناطق في كندا والمكسيك لتشل اقتصاديات هـذه البلـدان .

وفي وقتنا الحاضر يستحيل من الناحية العملية تجديد آثار كارثةنووية، ولا يورد الخبراء في كل مرة يجرون فيها الحسـابات الا معلومات تشمـل الحدود الدنيا للتقديرات الحقيقية . ولا أحد يعرف حتى الآن الى اية درجة ستختل علاقة الانسان بالوسط المحيط به ، لكن مـن غير المشكوك فيه ان الامراض ستنتشر بسرعة بين ضحايا هذا الصدام المروع نتيجة الجوع وسوء الاحوال المعيشية ونقص الخدمات الطبية اللائقـة فضلا عن ظروف سلبيـة ومعوقات أخرى ستكون القاعدة وليس الاستثناء في هذه المأساة .

واخذت اللجنة « المستقلة لشؤون الامن ونزع السلاح » برئاسة رئيس وزراء السويد (و . بالما) كافة هذه العواقب المحتملة بعين الاعتبار وتوصلت الى استنتاج مفاده انه لن يكون هناك منتصر في حرب نووية . وتتجلىالمسؤولية العالمية في تلافي أسباب نشوبها بحد ذاتها .

لقد شهد تاريخ البشرية على مدى خمسة آلاف وخمسمئة عام ١٤٥٠٠ حربا أودت بحياة حوالي اربعة مليارات من الناس ، ويمكن في هـذه الايام فناء مثل هذا الحجم بساعات معدودات او حتى خلال دقائق . ولعل هـذا ماكان ماثلا في ذهن العالم الامريكي البروفسور (جي . غيهر) هو يلقي خطابه في تشرين الثاني من عام ١٩٨١ امام لجنة الشؤون الخارجيـة في الكونغرس باسم « منظمة الاطباء في الصراع من أجل تحمل المسؤولية الاجتماعية » حيث ركز على أن : الحرب النووية من وجهة النظر الطبيـة وباء يستعصي علـى العـلاج .

(مخطط للآثار المدمرة لشحنة نووية باستطاعة واحد ميغاطن)



ورد في مجلة « كاونتر سباي » الاميركية انه أجريت اعتبارا من عام ١٩٤٠ ابحاث تناولت الآثار الاشعاعية المميتة للكائنات البشرية . فقد رغب الاستراتيجيون الاميركيون وهم يعدون لحروب نووية « محدودة » و « طويلة الامد » الوقوف على مدى فعاليّة هذا السلاح الهمجي للتدمير الشامل .

ومنذ « مشروع مانخيتين » لصناعة اول قنبلة نووية بدأت التجارب على مواد مشعة واختير ١٨ انسان تتراوح اعمارهم بين السادسة والتاسعة ليكونوا بمثابة « حقل تجارب » فدسوا لهم في الخمر جرعات كبيرة من مادة

البلوتونيوم ـ ٢٣٩ المشعــة وقدموها لهم علــى أنه دواء لاضرر منه فمات الجميــع .

ونفذت لجنه الطاقة النووية في الفترة الواقعة بين عامي ١٩٦٢ـ١٩٧٣ برنامجا واسعا للقيام بتجارب على مساحتين فعرضت للاشعاع ١٣١ شخصا في سجون ولايتي واشنطن واوريجون . وتلقى بعض المساجين من الاشعاعات مامقداره الاجمالي ٦٠٠ راد (وتعتبر هذه الجرعة مميتــة) . وانفق علــى البرنامج مليون ونصف مليون دولار .

واجريت الابحاث في جامعه (تسينتسيناتا) على المرضى . كان معظم هؤلاء (الارانب موضوع التجارب) من الفقراء المعوزين الذين عجزوا عــن دفــع تكاليف العلاج وثلاثة ارباعهم من الزنوج . وصرح الذين قاموا بهذه التجارب بأن ضحاياهم « مرضى لايفيد معهم العلاج والموت ارحم لهم » . كان المرضى الذين ماتو اولا هم اولئك الذين تلقوا جرعات اشعاعية كبيرة على الرغم مــن ان حالتهم كانت قبل ذلــك جيــدة ، اما الذين تلقوا جرعات قليلة فقــد عاشوا طويلا .

وشكل الجيش الاميركي مؤسسات علمية خاصة به للقيام بابحاث مــن هذا القبيل كانت التصريحات الرسمية تقول ان التعريض للاشعاع ينفــذ لاهداف تحسين طرق علاج المرضى بفقر الدم ، وما كان يقلق علماء الجيش في الواقع ليس العلاج وانما تطوير صناعة اسلحة الفتك والابادة . لقد اجريت التجارب على مدى خمســة عشر عاما لقي بنتيجتها ٦٤ شخصا علــى اقل تقدير حتفهم .

الخيـــــار

كفاح الاتحاد السوفييتي من أجل نزع السلاح النووي

اثناء انعقاد مؤتمر (بوتسدام) أبلغ رئيس الولايات المتحدة الامريكية «هاري ترومان» القادة السوفييت ان امريكا امتلكت القنبلة النووية ففي السادس عشر من تموز عام ١٩٤٥ أجريت في صحراء ولاية (نيومكسيكو) اول تجربة للقنبلة . وفي السادس والتاسع من آب اختبرت هذه القنبلة عمليا حيث تعرضت المدينتان اليابانيتان (هيروشيما وناغازاكي) وبأمر من رئيس الولايات المتحدة للقصف النووي .

ولم تكن هناك اية دواعي موجبة لصناعة هذه القنبلة وبالتالي استخدمها حيث كان بالفعل قد تم الحاق الهزيمة بالمانيا الفاشية والعسكرية اليابانية . ان الشعوب قدمت ضحايا لاحصر لها في الحرب العالمية الثانية لاحراز النصر على المعتدي لا ليقوم آخرون بصناعة سلاح أكثر هولا يهددون به البشرية . لقد صنعوا القنبلة النووية لحرب جديدة ، للابتزاز النووي والهيمنة على العالم ولم يكن المقصود باستخدامها اركاع اليابان بقدر ماكان المقصود اجبار العالم اجمع على الركوع وكما اعترف وزير خارجية امريكا بيرنس « لقد اردنا ان نجعل روسيا أكثر انصياعا وانقيادا في أوربا » . هكذا بدأ سباق التسلح النووي الذي أرغمت الولايات المتحدة العالم للسعي نحوه والتي تتحمل وحدها مسؤوليته امام التاريخ .

ومنذ شهر آب عام ١٩٤٥ وضع العالم امام احد امرين : اما منع الاسلحة النووية والتوقف عن انتاجها وبالتالي سحبها من التسليح الوطني للدول او السير على طريق الفناء بهذا السلاح . وحمل الاتحاد السوفييتي منذ الايام الاولى راية الكفاح ضد الموت النووي ، فبمجرد ظهور هذا السلاح اتخذ تجاهه

موقعا مبدئيا واضحا لايزال يحافظ عليه حتى يومنا هذا ويتجلى هذا الموقف في ان تتضافر جهود كافة الاقطار والشعوب للاستفادة من الطاقة الذرية للاغراض السلمية وان توجه لخير البشرية في التوسع بمصادر الطاقة لتطوير الصناعة ووسائط النقل والزراعة وفرض حظر كامل على انتاج السلاح النووي واستخدامه .

درءا لاخطار حرب نوويه :

ولاول مرة تجري وعلى نطاق واسع مناقشة معضلة حظر الاسلحة النووية واستخدام الطاقة الذرية لاغراض سلمية في مؤتمر موسكو لوزراء خارجية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا العظمى في كانون الاول عام ١٩٤٥ . وتم التوصل في هذا الاجتماع الى قرار باحداث لجنة نوويه في اطار منظمة الامم المتحده (أصبحت تعرف لاحقا بلجنة الطاقة النووية) . ونشب في هذه الهيئة صراع عنيف بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة حول مسالة حظر الاسلحة النووية ، ففي حين كان الاتحاد السوفييتي يسعى باخلاص لتحقيق هذا الهدف، كانت آراء واشنطن تسير باتجاه آخر يتمثل في وضع العراقيل أمام منع السلاح النووي محاولة الحفاظ عليه وتكريس احتكارها له .

وكانت أولى خطوات الاتحاد السوفييتي على طريق حظر الاسلحة النووية هي طرح « مشروع معاهدة دولية حول حظر انتاج اسلحة تقوم على انتاج الطاقة النووية لاهداف التدمير الشامل » . وحمل « اندريه غروميكو » بتكليف من الحكومة السوفييتية المشروع في ١٩ حزيران عام ١٩٤٦ الى لجنة الطاقة النووية لاهداف التدمير الشامل » . وحمل « اندريه غروميكو » بتكليف من مشروع آخر عرف « بخطة باروخ » ! على اسم المندوب الامريكي في لجنة الطاقة النووية التابعة للمنظمة الدولية) .

راعت « خطة باروخ » انشاء هيئة مراقبة دولية تعهد اليها كافة مؤسسات انتاج المواد المنشطرة وكذلك حق مطلق في انتاج مثل هذه المواد واي استخدام للطاقة النووية . ولما كانت الولايات المتحدة تتمتع في ذلك الوقت في منظمة

الامم المتحدة وفي لجنة الطاقة النوويه بأغلبية اصوات مضمونة فانها كانت ترمي الى تحقيق سيطرة دون شريك في هيئة المراقبة الدولية ايضا ، ولم يكن سعيها لدرء اخطار الاسلحة النووية ولا ان تضع تحت المراقبة المواد المتفجرة التي تشكل أساس هذه الاسلحة بل قصدت أن تفرض وصاية وان تحجز على كافة المؤسسات النووية للبلدان الاخرى واستخراج المواد الخام فيها .

وتراعي « خطة باروخ » اقامة نظام المراقبة بشكل يشمل المنتوجات الجاهزة – اي المواد المنشطرة – في مراحل متاخرة مما يعني في واقع الحال عدم وجود أية مراقبة على مادة متوفر في الولايات المتحدة من مواد منشطرة وقنابل نووية جاهزة ، وهذا مارمت اليه « خطة باروخ » .

واكثر من ذلك فان واشنطن باقتراحها هذه الخطة لم تعارض فقط فكرة حظر انتشار الاسلحة النووية وبقية انواع اسلحة التدمير الشامل ، وانما اقترحت منح هيئة المراقبة الدولية حق تطوير السلاح النووي . ومما جاء في « خطه باروخ » ان الهيئة الدولية يجب ان تخول حقا مطلقا لايشاركها فيه أحد بانتاج والبحث عن المواد النووية المتفجرة . ولا زالوا في البيت الابيض يصرون على هذا « الحق » في عام ١٩٨٢ أيضا اذ يرفضون الاستمرار في المباحثات الثلاثية التي تضم الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وانكلترا لابرام معاهدة حول الحظر الشامل على تجارب الاسلحة النووية .

وخلافا « لخطة باروخ » يراعي المشروع السوفييتي الزام الموقعين على المعاهدة المقترحة عدم استخدام الاسلحة النووية تحت اي ظرف من الظروف ومنع انتاجها وحفظها ، ومن ثم وبعد ثلاثة أشهر من دخول المعاهدة حيز التنفيذ اتلاف الاحتياط الجاهز منها بكامله . واقترح على ان اي انتهاك لهذه المعاهدة سيكون بمثابة « جريمة دولية ضد الانسانية » وارفق الاتحاد السوفييتي في الوقت نفسه مشروع المعاهدة باقتراح حول وضع شروط لمراقبة استخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية فقط والتقيد بشروط المعاهدة الدولية . لقد دحض هذا الاقتراح مزاعم الدوائر اليمينية في الولايات المتحدة المتعلقة بمعارضة الاتحاد السوفييتي لوضع رقابة دولية على الطاقة النووية

وهي المسالة التي لازالت موضوعا لانتهار فرص الفوز بين المتنافسين السياسيين في امريكا حتى يومنا هذا .

ولاقى موقف الاتحاد السوفييتي الداعي الى حظر الاسلحة النووية منذ البداية ترحيبا عالميا ، غير ان مثل هذا الحظر لم يدخل في خطط الولايات المتحدة فتمكن ممثلوها من افشال المقترحات السوفييتية معتمدين على غالبية الاصوات التي كانت خاضعة لهم في هيئات منظمة الامم المتحدة في ذلك الحين .

ولم يثبط الموقف السلبي للولايات المتحدة وحلفائها المقربين من عزائم الاتحاد السوفييتي في الماضي والحاضر على حد سواء فاستمر من عام الى آخر في تقديم مبادرات جديدة واضعا في حسبانه ان الحديث يجري حول ان تكون البشرية اولا تكون . ومن منطلق سعيه للقضاء على الخطر النووي وهو في المهد طرح في ١١ حزيران عام ١٩٤٧ امام لجنة الطاقة النووية في منظمة الامم المتحدة اقتراحا جرى اعداده بالتفصيل حول اقامة نظام للمراقبة على الطاقة النووية يشمل كافة مصادرها . واقترح لهذه الغاية تشكيل لجنة في اطار مجلس الامن لمنظمة الامم المتحدة تخول صلاحيات واسعة في التحري عن استخراج وانتاج وحفظ الخامات والمواد النووية واستثمار الطاقة الذرية .

وللتهرب من حل هذه المعضلة وتبني المقترحات السوفييتية أبدت الدبلوماسية الامريكية مجموعة من التحفظات والاعتراضات والشروط على المقترحات السوفييتية افرغتها من مضمونها . لقد ثبت ان اجراء المراقبة بعد ادخال معاهدة حظر الاسلحة النوويه فقد حيز التنفيذ لايوفر الامن للحكومات التي تاخذ على عاتقها الالتزام بعدم استخدام الاسلحة النووية وتدمير احتياطاته .

واخذ الاتحاد السوفييتي بالاعتبار مجموعة مصالح فتبني موقفا مرنا تجاه آراء الخصوم باعادة النظر في مقترحاته السابقة حول نزع السلاح، اذا وافقت الحكومة السوفييتية على متطلبات الدول الغربية العظمى باقامة المراقبة على الطاقة النووية مع ادخال الحظر على الاسلحة النووية حيز التنفيذ في آن

واحد . تقدم الوفد السوفييتي في منظمة الامم المتحدة بهذا الاقتراح عام ١٩٤٨، واعلن الاتحاد السوفييتي على موافقته ايضا على ان تتم المراقبة والتفتيش على حظر الاسلحة النووية ليس بشكل دوري وانما على اساس مستمر دون حق التدخل في الشؤون الداخلية للحكومات وهو ماحاولت ان تستأثر به الولايات المتحدة الامريكية لنفسها معتمدة على احتكارها المؤقت للسلاح النووي وعلى انقياد « الاغلبية الميكانيكية » في منظمة الامم المتحدة لآرائها .

وتوخى الاتحاد السوفييتي من وراء موافقته هذه الى بذل قصارى الجهود للتقريب من مواقف الطرفين ؛ غير ان الدوائر الحاكمة في الغرب لم تقدر هذه النوايا الطيبة فاحبطت الفرصة التاريخية التي توفرت للمجتمع الدولي في حل المعضلة النووية مرة واحدة والى الابد .

لقد اختارت الولايات المتحدة وحلفاؤها نهجا آخر هو السياسة « من موقع القوة » سياسة الابتزاز الذري والتسليح الذري وراهنت واشنطن على تخزين وتطوير هذه الاسلحة وهددت أكثر من مرة باستخدامه هنا وهناك واعدت اكثر من خطة الهجوم النووي على الاتحاد السوفييتي .

ماذا بقي للاتحاد السوفييتي ان يفعل في مثل هذه الظروف ؟ في تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ عرف العالم من تصريح وزير الخارجية السوفييتي ان القنبلة النووية لم تعد سرا، وكان هذا موجها الى أولئك المتغطرسين الذين وضعوا في حساباتهم ان الاتحاد السوفييتي لن ينجح في امتلاك السلاح النووي الا بعد مرور وقت طويل .

لقد تم كسر احتكار الولايات المتحدة للاسلحة النووية وبدات نهاية تلك المرحلة الخطرة على المجتمع الدولي عندما كان البنتاغون يجري حساباته على اساس عدم تلقي ضربة نووية جوابيه وبالتالي الافلات من العقاب وعندما كانت الولايات المتحدة تتبع سياسة عدوانية لاملاء ارادتها على البلدان والشعوب الاخرى .

وجاء في تصريح لوكالة تاس في ٢٥ ايلول من عام ١٩٤٩ التاكيد على انه بالرغم من حيازة بلادنا للاسلحة النووية الا انها ستواصل العمل على حظر

استخدام هذا السلاح . واعلنت الحكومة السوفييتية في عام ١٩٥٢ ان موقف الاتحاد السوفييتي في غاية الوضوح من الطاقة النووية وهو توجيه هذا الاكتشاف العظيم للعقل البشري لصالح الحضارة والتقدم وليس لنهب الشعوب .....

وفي حزيران ١٩٥٤ تم في الاتحاد السوفييتي ولاول مرة في العالم تشغيل محطة كهربائية بالطاقة النووية وعبر الاتحاد السوفييتي عن استعداده لتقديم خبراته في هذا المضمار للبلدان الاخرى وعرض المعلومات المتوفرة لديه على اول مؤتمر عالمي تنظمه الامم المتحدة في جنيف عام ١٩٥٥ حول استخدام الطاقة النووية للاغراض السلمية . وبعد مضي عام أقيم في الاتحاد السوفييتي اول مركز للابحاث النووية متعدد الجنسيات في العالم وهو المعهد الموحد للابحاث الذرية الذي أصبح فيما بعد احد أشهر المؤسسات العلمية المتقدمة .

لم يكن الاتحاد السوفييتي المبادر الى اختراع افظع سلاح عرفه التاريخ خطورة على حياة البشرية ولم يكن السباق في الاندفاع وراء اقامة الانظمة الجديدة للتدمير ونظرة واحدة على تاريخ مابعد الحرب تظهر من الذي قام بالتحدي ومن الذي كان عليه ان يعمل للحاق بالركب .

واكتسبت مسالة نزع السلاح اهمية جديدة اكثر خطورة في ظل الاكتشافات التي تمت في الخمسينات في مجال التكنولوجيا النووية والانتقال الى الاستخدام العسكري للطاقه النووية الحرارية التي اسفرت عن وضع القنبلة الهيدروجينية . وفشلت كافة محاولات التخفيف من التصعيد العسكري ويعود الذنب في ذلك على الغرب الذي رفض المقترحات السوفييتية واوصل المسالة الى طريق مسدود . لقد تمت الاشارة في بيان الحومة السوفييتية في ٢٢ كانون اول من عام ١٩٥٣ بعد اربعة شهور من اجراء تجربة على القنبلة الهيدروجينية في الاتحاد السوفييتي الى انها ـ اي الحكومة السوفييتية ـ وتقديرا منها للآثار الخطيرة المترتبة على تطوير مثل هذا السلاح ستواصل السعي الى ان يتم الاعتراف بضرورة حظر السلاح النووي مع اقامة مراقبة دولية على هذا الحظر والتعهد دون قيد او شرط بالامتناع عن استخدامه .

ان القضاء على الاحتكار النووي للولايات المتحدة والبراهين الجديدةعلى قدرات الاتحاد السوفييتي للدفاع عن نفسه وتوفير الامن لشعوبه بأحدث الوسائط اعادت الدوائر اليمينية في امريكا وانكلترا وفرنسا الى جادة الصواب واقنعتها اكثر من السابق بضرورة معالجة مسالة نزع السلاح بروح أكثر موضوعية وارغمتها على التعامل مع المعطيات الجديدة لهذا العصر .

ومراعات من الاتحاد السوفييتي لهذه المواقف الجديدة طرح للمناقشة في العاشر من ايار عام ١٩٥٥ على لجنة الامم المتحدة لنزع السلاح مقترحات حول مسائل الحد من التسليح وحظر الاسلحة النوويةوالقضاء على خطر نشوب حرب جديدة ، وكانت في معظمها تلتقي مع رغبات الدول الغربية العظمى التي ربطت تحقيق تدابير نزع السلاح مع تسوية معضلات دولية اخرى واقامة علاقة مباشرة بين حظر السلاح النووي وتنفيذ برنامج تقليص الاسلحة التقليدية . وهكذا وفي كل مرة عندما كانت تدعو الحاجة للانتقال من المناقشات الى التطبيق العملي كانت الدول الغربية العظمى تخلق ذرائع جديدة تزيد من المواقف تعقيدا .

ولوضع حد للجدل الذي كان قائما ولا ينتهي حول من اين يكون البدء ومن يمتلك اسلحة اكثر ومن بحوزته اقل ؟ ومن سيكون الرابح من هذه الاتفاقية او تلك ؟ تقدم الاتحاد السوفييتي بمشروع جريء في ١٨ ايلول عام ١٩٥٩ للمناقشة في هيئة الامم المتحدة تناول نزعا شاملا وكاملا للاسلحة وتمت الاشارة في هذه الوثيقة الى انه اذا جرى تبني النهج المقترح فانه « ستتوفر ظروف متساوية للتوازن وتستبعد بالتالي كافة الاحتمالات لاحراز أية دولة تفوقا او امتيازات عسكرية » .

وراعت المقترحات السوفييتية اتخاذ مجموعة تدابير لتدمير كافة القنابل النووية والهيدروجينية والصواريخ القتالية على اختلاف انواعها المتوفرة لدى الدول وان يقتصر استخدام الطاقة النووية على الاغراض السلمية بحيث تكون الصواريخ وسيلة لارتياد الفضاء بما فيه صالح البشرية عامة . والمفروض حسب رأي الاتحاد السوفييتي ان تنفيذ هذه التدابير والاجراءات تحت

اشراف صارم من قبل هيئة دولية تشكل لهذا الفرض تتمثل فيها كافة الحكومات .

ومراعاة للراي العام الذي أيد المشروع السوفييتي في النزاع الشامل والتام للاسلحة لم تلجأ الدول الغربية العظمى صراحة الى احباطه بل عمدت الولايات المتحدة أكثر من ذلك الى الظهور بمظهر الشريك لحكومة الاتحاد السوفييتي في صياغة المقترحات التي تبنتها الجمعية العمومية للامم المتحدة .

واصطدمت هذه القضية بمعوقات جديدة اذ سعت الولايات المتحدة وحلفاؤها الى تحويل القضية العاجلة الى مماطلة دبلوماسية واثبتت ليس بالقول فقط وانما بالفعل أنها غير معنية بقضايا السلام والامن وتكشفت هذه الحقيقة في الاول من أيار عام ١٩٦٠ حيث اسقطت وسائط الدفاع الجوي السوفييتي بصاروخ طائرة استطلاع اميركية من نوع « يو ــ ٢ » في منطقة سفيردلوفسك وتبين على أثرها أن الولايات المتحدة بدأت خرق المجال الجوي للاتحاد السوفييتي بمثل هذه الطائرة منذ عام ١٩٥٦ .

لم تستفز الاعمال العدوانية الاتحاد السوفييتي ، بل على عكس ذلك واصل مساعيه فقدم في حزيران عام ١٩٦٠ الى لجنة نزع السلاح مقترحات جديدة تأخذ بالاعتبار رغبات رئيس فرنسا ديغول في البدء خلال المرحلةالاولى بنزع ومن ثم تدمير وسائط نقل الاسلحة النووية وهي الطائرات العسكرية والسفن والصواريخ على الرغم من أنه كان لدى الاتحاد السوفييتي في ذلك الوقت تفوقا في أحدث وسائط نقل هذه الاسلحة والتي كان لها آفاقا واسعة وهي الصواريخ الباليستية العابرة للقارات . غير أنه وفي هذه المرة أيضا لجأت الدول الغربية العظمى الى اغراق المقترحات السوفييتية العملية بجدل لفظي امتد لعدة شهور وانتهى بأن وقفت حكومة الولايات المتحدة في جنيف وبشكل قاطع ضد هذه المقترحات ودافعت عن فكرة الحفاظ ولفترة زمنية ما اسمته « مظلة نووية واقية » .

ووافقت الحكومة السوفييتية سعيا منها الى لقاء الولايات المتحدة في

منتصف الطريق على الابقاء بشكل استثنائي ولوقت محدد في حوزة كل من الدولتين العظميين على عدد محدود جدا ومتفق عليه من الصواريخ العابرة للقارات وصواريخ مضادة للصواريخ وصواريخ طراز « أرض - جو » بهدف تأمين الحماية في حال قيام أحد الطرفين بخرق الاتفاقية .

ولم يؤثر هذا الاستعداد للحل الوسط على الموقف السلبي المتعنت للولايات المتحدة . لم يفوت الاتحاد السوفييتي اية فرصة سانحة وبأية طريقة للاقلال من التهديد النووي وواصل طرح المقترحات وعقد الاجتماعات عاما بعد عام سعيا للوصول الى مخرج ينقذ البشرية من أخطار مدمرة . ويشهد تاريخ كافة المحادثات التي اجراها الاتحاد السوفييتي مدى حرصه على ان يتخلص العالم والى الابد من أية تجارب للاسلحة النووية والهيدروجينية التي تلوث الجو والتربة والمياه في كوكبنا وتساعد على زيادة وتيرة الاسراع في سباق التسلح .

وتم في نهاية المطاف في الخامس من آب عام ١٩٦٣ التوقيع في موسكو على معاهدة لحظر اجراء التجارب النووية في الجو والفضاء الخارجي وتحت الماء ودخلت حيز التنفيذ في تشرين الاول من العام نفسه الاتفاقية التي عرفت فيما بعد باتفاقية موسكو التي أثبتت ان الرغبة والنوايا السليمة يمكن ان تحل اكبر وأعقد المعضلات ؛ كما شكلت نجاحا لصراع الشعوب من اجل نزع السلاح ونصرا باهرا لقوى السلام والتقدم .

وتمثل الهدف الآخر والهام لسياسة الاتحاد السوفييتي حول مسائل نزع السلاح خلال الاعوام اللاحقة في ابرام اتفاقية دولية لعدم انتشار الاسلحة النووية . وفي الحقيقة كان الصراع للوصول الى مثل هذه الاتفاقية موجها ضد اشراك المانيا الاتحادية بالاسلحة النووية وتحت أي شكل ضمن اطار حلف الناتو العسكري عن طريق اقامة « قوى نووية متعددة الاطراف » او « قوى أطلنطية » وهو ماكانت تخطط له واشنطن وبون وعواصم دول اخرى في حلف شمالي الاطلسي . لكن احباط هذه الخطط اظهر مدى قدرة شعوب اوربا في التاثير على مجريات الامور ودورها في نصرة قضية السلام العالمي وتم التوقيع

في عواصم الدول الثلاث الاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا العظمى ، في الاول من تموز عام ١٩٦٨ وفي ان واحد على معاهدة عدم انتشار الاسلحة النووية . وكان ذلك ثمره جهود المجتمع الدولي وعلى راسه الاتحاد السوفييتي لسنوات طويلة . وتنحصر اهمية هذه الوثيقة في حظر نقل التكنولوجيا النووية العسكرية لاية دولة سواء كانت مستقلة او مرتبطة باحلاف عسكرية .

وتم في ايلول عام ١٩٧١ التوقيع في واشنطن على معاهدتين ذات طابع عسكري - سياسي وعلى جانب كبير من الاهمية تناولت الاولى « تدابير الاقلال من خطر نشوب حرب نووية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية » ، فيما نصت الثانية على ضرورة « اتخاذ تدابير لتحسين خط الاتصال المباشر بين موسكو - واشنطن » .

وجرى الاتفاق في ربيع عام ١٩٧٢ ولاول مرة بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الاميركية على اتخاذ خطوات للحد من سباق التسلح فتم التوقيع في موسكو في ٢٦ أيار على معاهدة الحد من اقامة انظمة الدفاع المضادة للصواريخ والاتفاق على جدول زمني للحد من الاسلحة النووية الاستراتيجية واستندت كلتا الوثيقتين على مبدا الاعتراف المتبادل بالمساواة من الناحية الامنية لكلا الجانبين وعدم تفوق اي منهما على الآخر عسكريا .

وتنص الوثيقة الاولى على الزام الطرفين بعدم نشر انظمة يمكنها توفير الحماية للبلاد بكاملها من هجوم الصواريخ وسمح لكل جانب بامتلاك مالايزيد عن ٢٠٠ صاروخا مضادا للصواريخ لتغطية منطقتين هما العاصمة واحدى قواعد الصواريخ الباليستية العابرة للقارات . ان الحد من تطوير الدفاع المضاد للصواريخ يؤدي بطبيعة الحال الى الحد من تطوير الاسلحةالاستراتيجية النووية الهجومية انطلاقا من مقولة « اذا لم تحسن الترس فلا حاجة لتحسين السيف » واوكلت مسالة مراقبة تنفيذ هذه الاتفاقية التي عرفت فيما بعد بالاتفاقية الاولى للحد من الاسلحة الاستراتيجية « سالت - ١ » الى الدوائر

الامنية الوطنية لكل من الدولتين ؛ فيما اسندت للجنة استشارية دائمة تضم الجانبين مهمة التعاون المشترك لتحقيق بنودها وأهدافها .

وتشترط الوثيقة الثانية لهذه الاتفاقية التزام الجانبين وعلى مدى خمس سنوات (١٩٧٢ ـ ١٩٧٧) بالعدول عن اقامة القواعد الجديدة الثابتة لأطلاق الصواريخ الاستراتيجية الهجومية المتمركزة على الارض وقواعد لاطلاق الصواريخ البالستية من الغواصات الحديثة لتي تناولتها الاتفاقية في الوقت نفسه فنصت على ضرورة تقليص عددها . .

ومن العلامات المميزة بهذا الصدد في فترة السبعينات التوقيع فيحزيران عام ١٩٧٣ في واشنطن على معاهدة حول تلافي حرب نووية يتلخص جوهرها في أن الجانبين اتفقا على اتباع سياسة من شأنها الحيلولة دون ظهور حالات تستدعي تأزم العلاقات بينهما وتبعد خطر المواجهة العسكرية .

وبما ان مفعول (سالت ـ ١) ينتهي في عام ١٩٧٧ فقد تم الشروع مباشرة بعد توقيعها في الاعداد لاتفاقية جديدة الا ان الامور سارت ببطء حيث وقفت في طريقها شركات الصناعة العسكرية في الولايات المتحدة الاميركية وفضيحة (ووترغيت) التي مست الشخصية الاولى في البيت الابيض. وأمكن الاسراع في المحادثات نتيجة لقاء العمل الذي تم في تشرين الثاني منعام١٩٧٤ في فلاديفوستيك بين ليونيد بريجنيف ورئيس الولايات المتحدة الاميركية جيرالد فورد حيث وضعا الخطوط العريضة لاتفاق طويل الاجل يمتد الى عام ١٩٨٥ فاتفقا على الا يزيد عدد حاملات الصواريخ الاستراتيجية عن ٢٤٠٠ والصواريخ البالستية العابرة للقارات والصواريخ البالستية ذات الرؤوس المنشطرة عن ١٣٢٠ صاروخا . ومرت اكثر من أربع سنوات ونصف على لقاء فلاديفوستيك قبل أن يتم التوقيع في حزيران عام ١٩٧٩ في فيينا على الاتفاق الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية « سالت ـ ٢ » .

لقد حددت هذه الاتفاقية ولاول مرة « سقفا » متساويا لكلا الجانبينمن حيث عدد ونوعية الاسلحة التي يمكن ان تكون بحوزتهما والزمتهما بعد ابرامها بتقليص قواعد إطلاق الصواريخ البالستية عابرة القارات والصواريخ

البالبستية في الغواصات والعاذفات الثقيلة المزودة بالصواريخ المجنحة والصواريخ الباليستية طراز « جو ـ أرض » بمدى يزيد عن ٦٠٠ كم وبعدد اجمالي لايتجاوز ٢٤٠٠ وحدة . وبعد الاول من تشرين الثاني عام ١٩٨١ اتجهت نوايا الجانبين للحد من الاسلحة الاستراتيجية الهجومية حتى ٢٢٥٠ وحدة .

لقد احيت اتفاقية « سالت ـ ٢ » الآمال في امكانية وقف سباق التسلح وفتحت الطريق لتحقيق الهدف الاسمى الا وهو التوقف بشكل نهائي عن انتاج الاسلحة النووية وتدمير المخزون منها .

غير ان هذا لم يدخل في خطط المتطرفين في الدوائر العسكرية ـ السياسية لمؤسسات الولايات المتحدة الاميركية اذ سرعان ماتم الاعلان بعد توقيع اتفاقية « سالت ـ ٢ » عن اصدار التوجيه رقم ٥٩ حول « استراتيجية نووية جديدة للولايات المتحدة » من الرئيس نفسه وهو ما اعاد الى الاذهان عقيدة الحرب النووية « المحدودة » في اوروبا والانسياق وراء احراز تفوق عسكري . وقضى هذا التوجيه بنقل قاعدة مادية ـ فنية جديدة الى اوروبا تلبية لقرار مجلس حلف الناتو الذي انعقد في ١٢ كانون الثاني من عام ١٩٧٩ . وبهذا نسفت واشنطن الاتفاق الذي تم التوصل اليه بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة وعلى اعلى المستويات ، واتبع رونالد ريغان ذلك بالاعلان عن البدء بانتاج القنبلة النيوترونية ولم يوقف الاتحاد السوفييتي بعد قرار حلف الناتو وواشنطن المشؤوم البحث عن انسب الطرق لحل المعضلة وبشكل لايمس المصالح الامنية لاحد الجانبين فاقترح عدم ايصال الامور لخطوة خطيرة يمكن ان تؤدي الى مجازفة وطالب بتسوية سياسية للموضوع الذي يدور حوله الجدل والمتعلق بالاسلحة متوسطة المدى فابدى استعداده لتقليص عدد الوسائط من هذا الطراز اذا تخلى الغرب عن نواياه ، لكن واشنطن وحلفاءها لم تصغ لصوت الحكمة فكان خيار الاتحاد السوفييتي الذي توقعته كافة القوى المحبة للسلام في اتخاذ خطوات تتناسب وسياسة الدول النووية العظمى الاخرى حفاظا على امنه وعلى مستقبل الانسانية جمعاء .

ان المطلوب في هذه الايام هو درءا خطر الحرب النووية وهي مسؤولية قادة الحكومات امام شعوبهم وأمام الاجيال القادمة ، وعلى هذا المبدأ يبنى الاتحاد السوفييتي سياسته الخارجية :

ثانيا ـ الشتاء النووي

ثانيا ـ الشتـــاء النووي

« ان اربعين عاما من التفكير بنتائج الصراع النووي ، لم تمنع اختصاصي الحرب النووية من ان يهملوا ويتغاضوا عن التاثير الذي يمكن ان يكون الاسوا من سائر التأثيرات : والذي هو الهبوط الشديد لدرجات الحرارة المؤدي الى الشتاء شبه القطبي الذي يستمر لعدة اشهر . ولم يلبث بعض العلماء الاميركيين والسوفييت في كافة الاختصاصات ان اوضحوا هذا السيناريو الجديد للرعب، الذي يمكن ان يبدل معطيات الردع » .

ـ وعموما فان السوفييت والاميركيين متفقون على ان القسم الاكبر من سطح الكرة الارضية سوف يتعرض ـ في حالة وقوع الحرب النووية الشاملة ـ وخلال عدة اشهر ، لبرد قطبي يدمر الشروط الضرورية للحياة النباتية والحيوانية على الارض وفي البحر . ولم يؤخذ هذا التأثير للصراع النووي حتى الآن بعين الاعتبار ، علما انه يمكن ان يبدل بشكل حساس من معطيات الردع .

فمنذ هيروشيما وناغازاكي ، ومرورا بتجربة القنبلة الهيدروجينية ، نجد ان تحليل التأثيرات المحتملة للحرب النووية كان قد قاد الخبراء الى استنتاجات تميل أكثر فاكثر نحو التشاؤم .

وان رمي القنبلتين اللتين وضعتا حدا للحرب العالمية الثانية ، كان قد سمح بتقويم اهمية الخسائر الناجمة عن موجات الصدمة والاشعاعات النووية الاولية (النترونات واشعة غاما) . وما لبث ان جاء وقت قيل فيه : هيروشيما ياحبيبتي او : ماكان احلاك ياهيروشيما ...! وفي عام ١٩٥٤ سمحت التجارب النووية المنفذة في الجو فوق جزيرة بكيني بتقويم خطر انتقال المواد الملوثة بواسطة الهواء ، وقدرتها في تلويث مناطق كاملة على مسافة كيلو مترات من

نقطـة الانفجار . وفيما بعد ، أمكن ايضاح حدثين كبيرين آخرين . فمن ناحية اولى : عرف تأثير النبضة الكهرطيسية او « الومضة الراديوية » حيث تصدر الانفجارات النووية نبضات كهرطيسية قادرة على الاخلال بعمل شبكات الاتصال ومجموعات الاجهـزة الالكترونيـة ، وبالتالي تؤدي الى شل نشاطات دول بأكملها(١) . ومن ناحية ثانية ، فهناك مايمكن ان ندعوه بالتأثير (ب) حيث يمكن للحرب النووية المنفذة على نطاق واسع ان تتلف طبقة الاوزون التي تحمينا من الاشعة فوق البنفسجية ، وبالتالي ، فان الحيوانات والكائنات البشرية تتعرض للاصابة بالعمى وبسرطان الجلد . وعموما فان احدى الدراسات الاميركيـة المنفذة بناء على طلب وكالة مراقبة التسلح (٢) ، تسمح لنا بأن نستنتـج بأن استعادة هذه الطبقة تحتاج الى اربعة اعوام .

وفي عام ١٩٨٢ فقط ، وبمبادرة من هيئة تحرير مجلة اكاديمية العلوم في استوكهولم المسماة ــ آمبيو AMBIO ــ بدات مجموعة مـن الباحثين السوفييت والاميركيين بدراسة حادثة تطاير كميات هائلة من الغبار والدخان الناجمين من الانفجارات النووية المتتابعة ، الى الفضاء . وان هـذه الاغبرة والادخنة الحاملة لجزيئات سواد (سخام) الدخان تشكل بدورها نوعا ما من الغطاء الجبار الذي يمنع ، خلال اسابيع او اشهر ، ضوء الشمس من الوصول بشكل طبيعي الى سطح الارض . ومن يبقى من البشر على قيد الحياة سيضطر ان يعيش في الليل الجليدي . ولا شك ان هذه الفترة الجليدية القصيرة الامد ستكون مؤقتة ، ولكن مدة استمرارها ستكون كافية لتدمير القسـم الاكبر من انظمـة البيئـة .

درست سلسلة من السيناريوهات في هذا المجال . وهكـذا فقد درس الاميركيون حوالي ستين حالة في محاولة منهم لتقويم الحوادث المناخية الناجمة

---

(١) ــ انظر مجلة العلم والحياة رقم ٧٨٨ ، لشهر آيار ١٩٨٢ .

(٢) انظر التأثيرات الطويلة الامد وعلى مستوى العالم كله للتفجيرات النووية المتعددة . الاكاديمية القومية للعلوم ــ ١٩٧٥ .

عن مختلف أنواع الصراعات النووية الممكنة . ولكن السوفييت لم ينشروا سوى سيناريو واحد عن الحرب النووية شبه الشاملة ، التي تستخدم فيها اربعة اخماس المقدرة النووية لكلا القوتين العظيمتين .

وكانت النتائج التي حصل عليها السوفييت متوافقة مع استنتاجات الخبراء الاميركيين في نفس السيناريو .

وقد وضعت الحسابات السوفيينية من قبل مجموعة عمل الدكتور فلاديمير ف. الكسندروف ، مدير مركز الابحاث المناخية في اكاديمية موسكو للعلوم ، وساعده في ذلك الدكتور جورجي شنشيكوف STENCHIKOV من مركز الحسابات في نفس هذه الاكاديمية . وقد اعتمدت الفرضية على انفجار عشرة آلاف ميغا طنا . وبعد اربعين يوما من بدء الصراع الذي استخدمت فيه هذه الانفجارات ، انخفضت درجة الحرارة الى (٤٠) درجة مئوية تحت الصفر في بعض مناطق نصف الكرة الشمالي (كندا والباكستان)، والى خمس درجات مئوية تحت الصفر في بعض مناطق نصف الكرة الجنوبي (اوستراليا) . وبعد ثمانية أشهر من بدء الصراع ، وحدوث الانفجارات ، كانت درجة الحرارة لاتزال ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر في المملكة العربية السعودية و ١٥ درجة مئوية تحت الصفر في امريكا الوسطى وبين الصفر وخمس درجات دونه في أوروبا،وخمس درجات تحت الصفر في أماكن مختلفة من نصف الكرة الجنوبي .

وبالنسبة لنفس الفرضية ، نجد ان الاميركيين قدروا ان درجة الاضاءة في نصف الكرة الشمالي سوف تقل بمعدل مائة مرة خلال شهر ، وان درجة الحرارة يمكن ان تنخفض الى ٤٣ درجة مئوية تحت الصفر خلال أربعة أشهر. وفي المناطق الاستوائية ، فان درجة الحرارة سوف تنخفض أيضا الى مادون الصفر .

واذا اضفنا ، كما فعلت جماعة البيولوجيين الاميركيين باشراف البروفسور بول ايرليخ PAUL ERLICH من جامعة ستانفورد ، النتائج الاخرى للانفجارات النووية ، سنجد الصورة العامة لها ، ستكون

مرعبة ، حيث سيزيد عدد الذين يلاقون حتفهم عن مليار انسان بسبب موجات الصدمة الناجمة عن الانفجارات ، والتفحم في الحرائق التي تنشأ من الاشعاعات المباشرة ، كما ان اكثر من مليار انسان آخر يصابون بجروح خطرة . وبعد بضعة أيام ،يكون حوالي ٣٠ الى ٥٠٪ من سكان الكرة الارضية قد اختفوا من الوجود ، وبشكل رئيسي في امريكا الشمالية ، واوروبا ، والاتحاد السوفييتي واليابان . اما بالنسبة للناجين ، فان اشعاعات (ب) فوق البنفسجية ستصبح أقوى بأربع مرات خلال عام واحد ، حيث تضاف تاثيراتها الى التساقطات الاشعاعية التي تهبط الى الارض في الايام الاولى ، كما ان هبوط درجات الحرارة يسبب نقصا شبه كلي ودائم في المواد الغذائية .

فما هي الدلائل او البراهين التي تسمح للاميركيين والسوفييت بالتنبؤ بالكارثة المناخية في حالة حدوث صراع نووي كبير ؟ .

يجب أولا التمييز بين الاغبرة والادخنة ، وعموما فقد كان البروفسور بول كريتزن PAUL CRUTZEN مدير دائرة الكيمياء الجوية في معهد ماكس بلانك في بلدة مايانس MAYENC ، والبروفسور جون بيركس — وهو كيميائي في جامعة بولدر (بولاية كولورادو) — هما اول من درس تاثير الادخنة بالتفصيل .

وقد وضع هذان الاستاذان نفسيهما ضمن اطار السيناريو الذي اعتمدته مجلة « آمبيو AMBIO » ، واستخدمت فيه كمية ٥٧٤٢ ميغا طنا خلال بضعة أيام وهي الكمية الموجودة في ١٧٧٤٧ راسا نوويا .

وعموما فان هذا السيناريو يعتبر من السيناريوهات الوسيطة او المتوسطة الشدة حيث افترض فيه ان السوفييت والاميركيين يستخدمون فيه اقل من نصف قوتيهما النوويتين (علما ان مجموع هاتين القوتين يساوي ثلاثة عشر الف ميغا طن) . وفي هذا الافتراض ، تنشب الحرائق في مليون كيلو متر مربع من الغابات ، اي مايعادل مساحة الدول الاسكندنافية مجتمعة. وتؤدي هذه الحرائق الى تحرير او اطلاق كمية تتراوح بين (٢٠٠) و (٤٠٠)

مليون طن من جزيئات الدخان ، حيث يكون القسم الاكبر منها ذا قطر يقل عن الميكرون (وهو جزء من الف من الميليمتر) .

وتتألف ثلاثة أرباع هذه الجزيئات من مواد عضوية ، حيث تشكل مادة القطران ٥٥٪ منها ، وتشكل مادة هباب الفحم ٢٥٪ ، بينما يشكل الرماد ٢٠٪ منها ايضا . وبالضبط فان الحبيبات من هذا القياس وهذه النوعية هي التي تمتص بسهولة كبيرة الاشعة الشمسية وتشكل بالتالي الحاجز او الستارة الحاجبة .

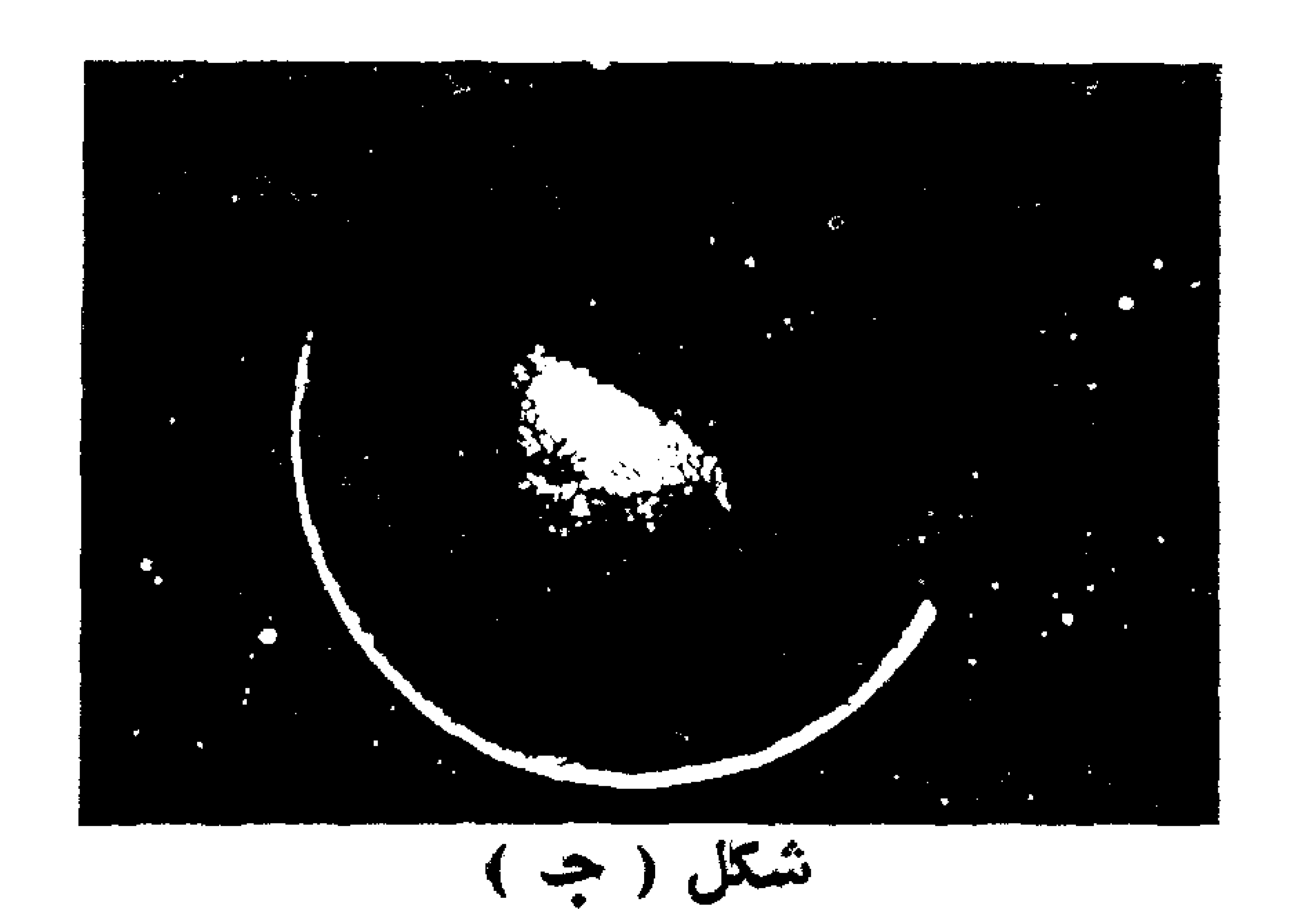
تستمر النار في الغابات غالبا لمدة شهرين وبالتالي ، فان الايروزول المتشكل منها ، والقادر على الارتفاع الى طبقات الجو العليا خلال ٥ ــ ١٠ أيام، يعمل خلال عدة اسابيع على امتصاص مايتراوح بين ٥٠ و ٩٩٪ من الاشعة الشمسية .



شكل (أ)



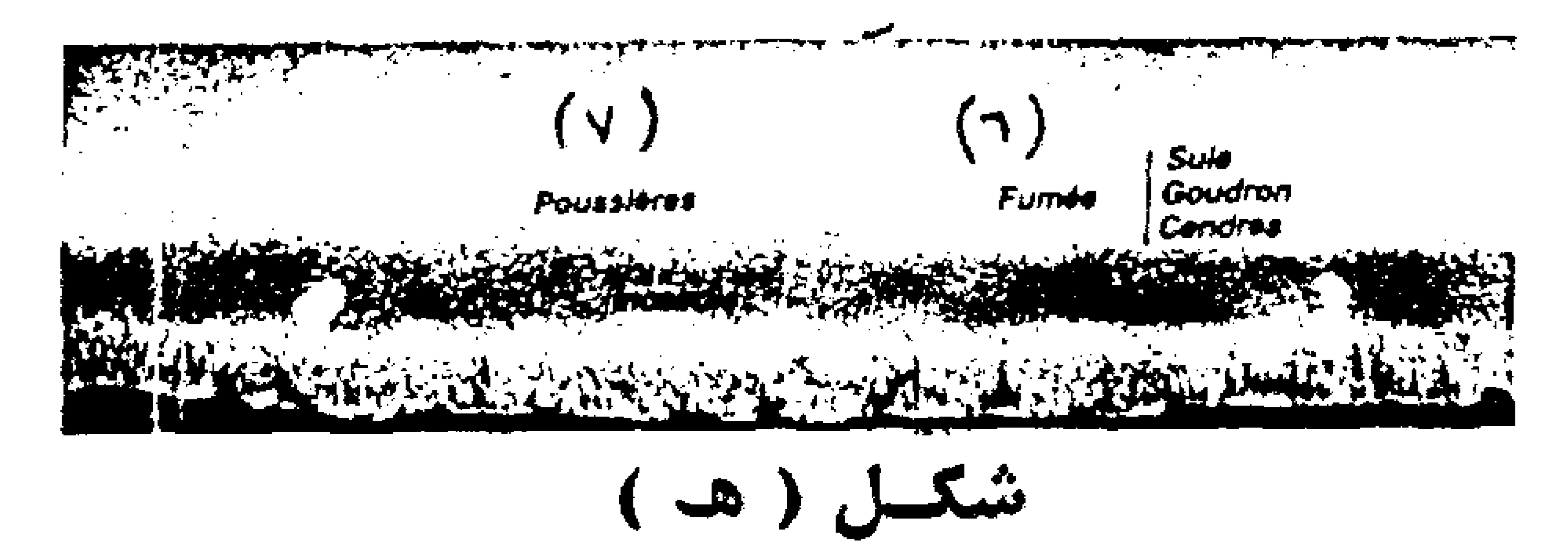
شكل (ب)



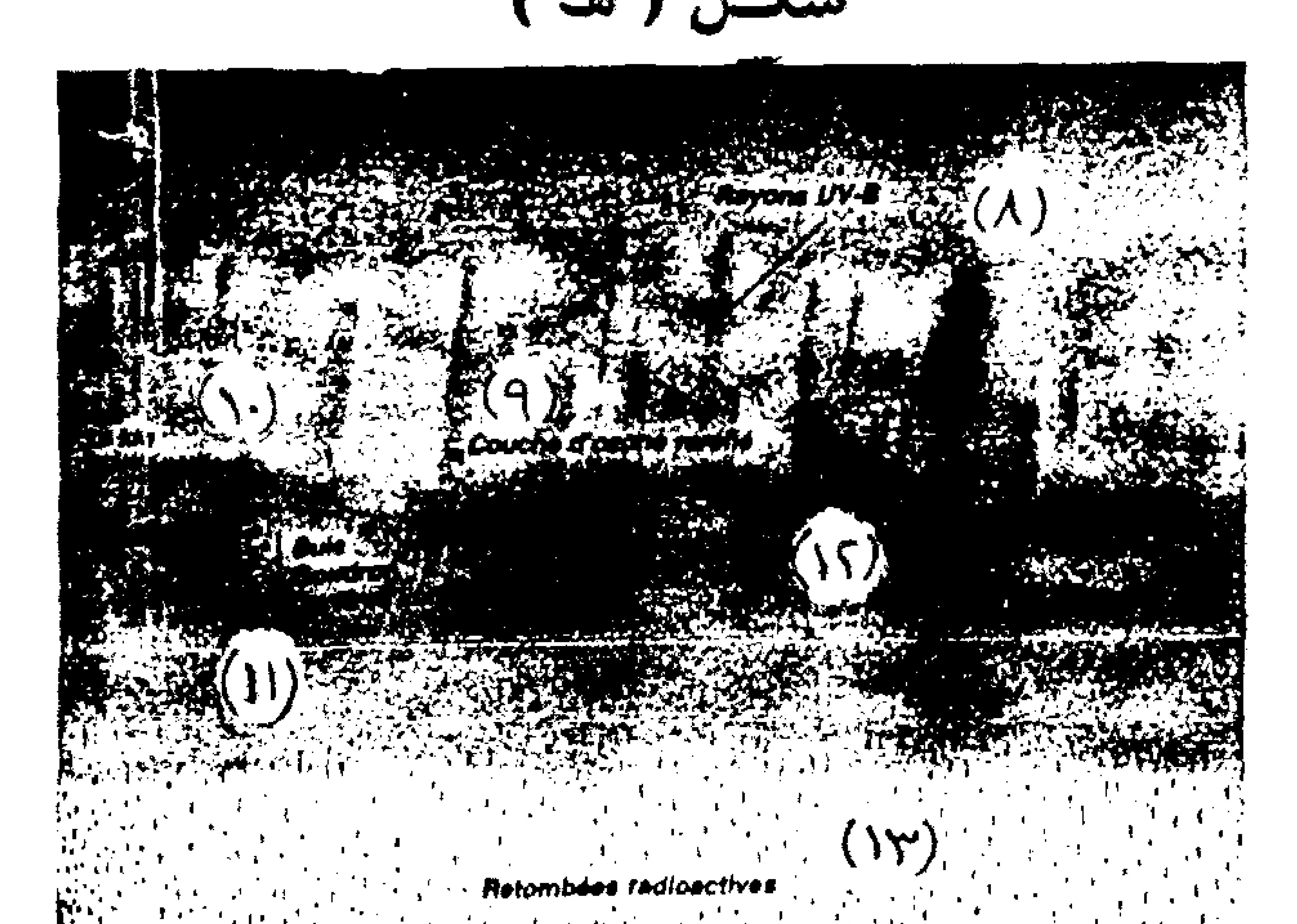
شكل (ج)

Versailles (٥) La Défense (٤) Paris (١٤) Vincennes (٢) (٣) Marne la Vallée

شكل (د)



شكل (هـ)



شكل (و)

(١) ـ لقد نسي كل شيء عن الغبار والدخان .

ـ لو ان القنابل النووية كانت قد جربت على نطاق واسع ، فان الحرب النووية نفسها لن تحدث أبدا . فبالاضافة الى التأثيرات التدميرية الثلاثة المعروفة سابقا ، وهي الاشعاعات (أشعة غاما والنترونات) ، والاشعاع الحراري (الحرائق) وموجة الصدمة (الريح المتحركة بسرعة وضغط عاليين جدا) ، فقد أضيف مؤخرا تأثير رابع هو موجة النبضات الكهرطيسية التي تستطيع تعطيل او تخريب الالكترونيات في كل البلدان والواقعة تحت تأثير الانفجاراتالنووية.

ولكن فقد نسي كل شيء وببساطة غير معهودة ، عن الغبار والدخان ! فعبر فتح حفر كبيرة جدا في الارض ، وحرق كل ماهو قابل للحرق : نجد ان التفجيرات النووية تعمل على قذف اطنان كثيرة جدا من الغبار والدخان الى طبقات الجو العليا ، حيث تتشكل ستارة متراصةوطويلة الامد تمنع بدورها مرور الاشعة الشمسية عبره ، وبالتالي يخيم شتاء مميت على الكرة الارضية .

وفي الصور الظاهرة أعلاه ، يمكن متابعة تقدم غيوم الدخان ، التي تمتد شيئا فشيئا في طبقات الجو العليا حتى تغطي نصف الكرة الشمالي بأكمله . وفي نفس الوقت ، فان تأكسد الهواء الذي ارتفعت حرارته بسبب الانفجار يؤدي ايضا الى تشكل كميات كبيرة من أوكسيد الآزوت الذييدمر طبقة لاوزن . أما بعد زوال الاغبرة والادخنة خلال بضعة أسابيع ، فان الاشعة فوق البنفسجية من نوع (ب) تصبح قادرة على ان تصل بحرية الى سطح الارض ، محدثة الاتلاف والتدمير قبل ان تتم استعادة درجات الحرارة العادية على هذا السطح .

(٢) ـ وادي المارن MARNE (٣) ـ مدينة فينسان VINCENNEE

(٤) . الدفاع (التحصينات) (٥) ـ مدينة مارسيليا .

(٦) ـ الادخنة { الهباب، القطران، الرماد (٧) ـ الاغبرة

(٨) ـ الاشعة فوق البنفسجية من نوع (ب) .

(٩) ـ طبقة الاوزون المتخلخلة (١٠) ـ ١٥ كيلو مترا .

(١١) ـ الادخنة { الهباب، القطران، الرماد (١٢) ـ الاغبرة

(١٣) ـ التساقطات الاشعاعية (١٤) ـ باريس .

جـــــدول

لتسعة سيناريوهات للحروب النووية المتخيلة وتاثيراتها على المناخ

نوع السيناريو	الطاقة الاجماليـة (ميغا طن)	نسبة الانفجارات على سطح الارض (٪)	نسبة الانفجارات على المدن او المراكز الصناعية (٪)	عيارات القنابل (ميغاطن)	العدد الاجمالي للانفجارات	درجة الحرارة المئوية بعد (٢٠) يوما	درجة الحرارة المئوية بعد (٨٠) يوما	درجة الحرارة المئوية بعد (٢٠٠) يوما
١	٢	٣	٤	٥	٦		٨	٩
السيناريو الاساسي	٥٠٠٠	٥٧	٢٠	١ر٠–١٠	١٠٤٠٠	– ٢٤	– ٣	+ ٦
المليبسة الانفجارات جوية ، والقنابل من العيار الصغير .	٥٠٠٠	١٠	٣٣	١ر٠–١٠	٢٢٥٠٠	– ٢٨	– ٥	+ ١٠
الحرب ذات الاتساع الكبير .	١٠٠٠٠	٦٣	١٥٠٠	١ر٠–١٠	١٦١٦٠	– ٢٩	– ١١	+ ٢
الحرب المحدودة (كافة الاهداف المعادية)	٣٠٠٠	٥٠	٢٥	٣ر٠–٥	٥٤٣٣	– ٢٠	+ ٢	+ ٨

تابع ـ السيناريوهات التسعة للحروب النووية ... الخ ...

١	٢	٣	٤	٥	٦		٨	٩
الحرب المحدودة (الاهداف العسكرية فقط) .	٣٠٠٠	٧٠	صفر	١ـ١٠	٢١٥٠	+ ٧	+ ٥	+ ٨
الحرب المحدودة (كافة الاهداف أيضا).	١٠٠٠	٥٠	٢٥	٢ر٠ـ١	٢٢٥٠	+ ٧	+ ١٢	حرارة طبيعية
الهجوم على نصف الكرة الجنوبي .	٣٠٠	صفر	٥٠	١	١٠٠	حرارة طبيعية	حرارة طبيعية	حرارة طبيعية
الهجوم على المدن والمراكز الصناعية فقط.	١٠٠	صفر	١٠٠	١ر٠	١٠٠٠	ـ ٢٤	+ ٣	حرارة طبيعية
الهجوم على صوامع الصواريخ فقط .	٥٠٠٠	١٠٠	صفر	٥ ـ ١٠	٧٠٠	+ ٧	+ ٥	+ ٧

ملاحظة على جدول السيناريوهات التسعة :

يحتوي هذا الجدول على تسعة سيناريوهات مفصلة ، من مجموع السيناريوهات او الحالات التي درسها الاميركيون والبالغ عددها ستون سيناريو . وتوجد لكل من هذه السيناريوهات مؤشرات عن النسبة المئوية للانفجارات السطحية (التي تعتبر عادة كميات كبيرة من الغبار) ، وقوة أو عيار الانفجارات المنفذة على المدن والمراكز الصناعية (التي لاتحدث فيها حرائق كبيرة جدا) ، وقوة او عيار القنابل المستخدمة وعددها . ولدى حساب كميات الاغبرة والادخنة الناتجة عن كل حالة ، مع مراعاة مختلف أنواع التحولات في الغلاف الجوي ، فان الباحثين الاميركيين قاموا في كل من الحروب المذكورة في هذا الجدول ، بتقديم قيم درجات الحرارة في نصف الكرة الشمالي بعد (٢٠ و (٨٠) و (٢٠٠) يوماً من انتهاء الاعمال القتالية العدائية .

وبالاضافة الى هذه الحرائق في الغابات ، يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار أيضا تأثيرات الحرائق في المناطق المبنية ، وخاصة في المراكز الصناعية وفي آبار البترول ، والغاز ، التي تذكرها الدراسة دون ان تحسب مدى اتساعها . وسوف تشمل النتائج المحتملة اختفاء الحيوانات والنباتات البحرية التي تتغذى على علف ونبات البحار في نصف بحار نصف الكرة الشمالي تقريباً ؛ وذلك بالاضافة الى النقص الكبير في المحاصيل ايضا .

لم يسبق لاحد ، حتى لاختصاصيي وكالة الدفاع النووي الاميركية DNA ، التي يتمثل دورها في دراسة تأثيرات الصراع النووي ، ان فكر ، بشكل ما او بآخر ، بأنه يمكن للدخان الناجم عن حرائق الانفجارات النووية ان يلعب دورا ما في هذا المجال . وهكذا فقد أجاب مارفن اتكينز ATKINS MARVIN المدير العلمي المساعد لهذه الوكالة عندما سئل عن ذلك في واشنطن بما يلي : « لم يفكر احد قط بانه قد تكون للدخان هذه الاهمية ولكن .. لم يفكر أحد أيضا بالجاذبية قبل نيوتون . ! » وكان هذا الجواب عذره الوحيد .

ان دور الغبار (وليس الدخان) كان قد درس بشكل خاص في عام ١٩٨٢

من قبل مجموعة باحثين باشراف البروفسور كارل ساغان ، مدير مختبر الدراسات الفضائية في جامعة كورنل في الولايات المتحدة الاميركية . وكان البروفسور ساغان قد درس تأثير اعاصير الغبار التي لوحظت بواسطة مسبر الكشف في السفينة الفضائية مارينر ٩ ، على المناخ في كوكب المريخ . وكذلك فقد حسب برودة سطح المريخ بواسطة سماكة وكثافة طبقة الايروزول الموجودة في جوّه .

وثمة اربعة باحثين اخرين (٢) ، انضموا الى البروفسور ساغان، ودرسوا تناثر الغبار الذي يصل الى طبقات الجو العليا : بعد ان تقذفه ــ البراكين الثائرة ، وخاصة في حالة انبركان المكسيكي المعروف باسم شيشون EL/CHICHON

وقد درس هؤلاء ايضا النتائج المناخية للاصطدام المحتمل بين الكرة الارضية ونيزك ما ذي قطر يبلغ عشرة كيلو مترات ، كما سبق ان حدث مثلا قبل ٦٥ مليون عام : حسبما يرى حامل جائزة نوبل البروفسور الفاريز AL VAREZ عندما ادى أصطدام من هذا النوع الى اختفاء حيوان الدبناصور نهائيا من الارض ، او كما يحدث عندما ينفجر جهاز نووي فوق سطح الارض او على مقربة منه ، ويحفر حفرة واسعة ، قاذفا الى الجو بكميات كبيرة جدا من الغبار . وكذلك ، فان انفجار قنبلة من عيار ميغاطن واحد على الارض ، يمكن ان يشكل حفرة ذات قطر يصل الى بضع مئات الامتار ، علما ان ذلك يؤدي الى قذف آلاف الاطنان من الاتربة الى الجو . وبشكل أكثر دقة ، فان كمية من الاتربة يتراوح وزنها بين مائة الف وستمائة الف طن تنقذف الى طبقة الجو العليا عبر الفطر النووي ، كما ان كمية من جزئيات

---

(٢) ــ هم ريتشارد توركو من مؤسسة الابحاث والتطوير ، وهي مؤسسة استشارية تشبه مؤسسة راند RAND وجيمس بولاك و اون تون OWEN TOON وتوماس اكرمان ACKERMAN من مركز أبحاث آمز AMES التابع لوكالة الفضاء الاميركية NASA

الغبار يتراوح وزنها بين عشره آلاف وثلاثين الف طن ، ويبلــغ قطر الواحدة منها اقل من ميكرون ، تنقذف ايضا لتصل الى طبقة الستراتوسفير(٤) .

ان هذه المواد الغباريــة تضاف الى المواد الدخانيــة في احداث التأثير الحاجب المكمل ، وبالرغم من أنها أضعف بكثير من الدخان ، فانها تستمر لزمن اطول بكثير (حتى عام واحد) .

وعندما اطلع البروفسور ساغان على المقــال الذي نشرته مجلة آمبيو AMBIO ، فقد انكب مع الباحثين الاربعة الآخرين علــى دراسة هاتين الظاهرتين . وكانت الاستنتاجات التي توصلوا اليها على درجة من الدراماتيكية بحيث انهم اتخذوا اجراءات وتحفظات عديدة قبل اعلانها على الناس . وفي شهر نيسان من عام ١٩٨٣ اخضعوا هذه الاستنتاجات لتدقيق اشتراك فيه أربعون زميلا لهم في اكاديمية الفنون والعلوم في كامبردج بولاية ماساسوستش الاميركية . وقد تمت الموافقة عليها بالاجماع من قبل اختصاصيين في كافة الموضوعات المعنية . وبعد ستة اشهر جرى اعلان النتائج بشكل صريح ، ولم يلبث ان انعقد مؤتمر حول « العالم بعد حرب نووية » في مدينــة واشنطــن العاصمة بين ٣١ تشرين الاول والاول من تشرين الثاني لعام ١٩٨٣ (٥) . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الدراسة تعرف بالرمز «TTAPS» ،وهي الاحرف

---

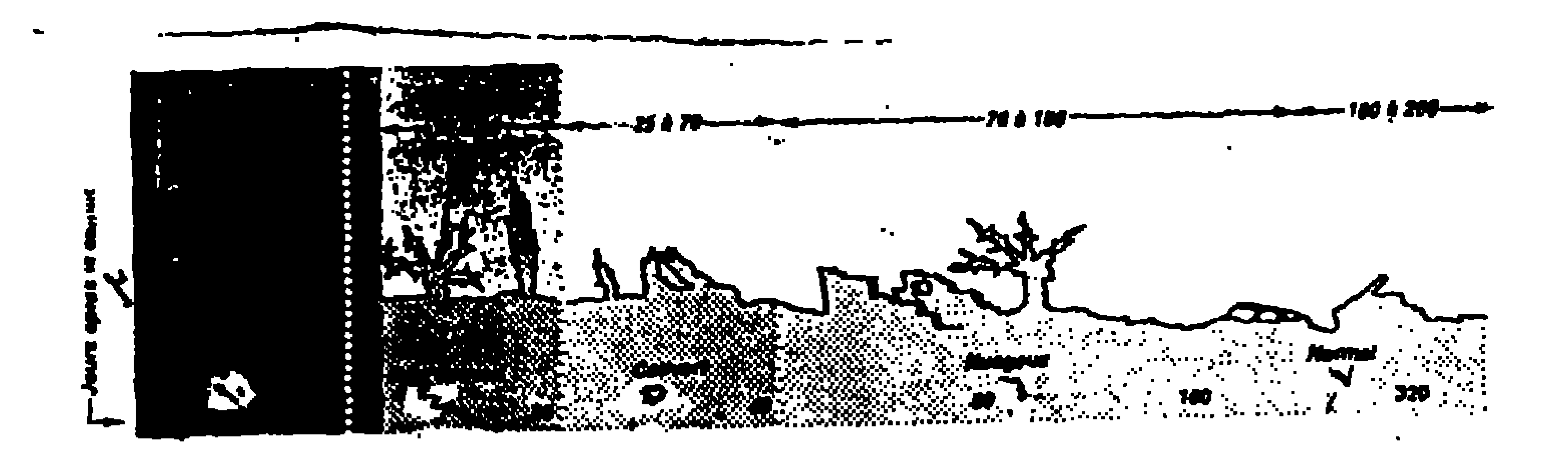
(٤) ـ ان الجو الارضي يتألف من ثلاث طبقات هي : طبقة التروبوسفير التي تمتد من الارض الى ارتفاع (١٢) كيلو مترا بشكل وسطي ، حيث تنقص درجة الحرارة باستمرار كلما ازداد الارتفاع عن سطح الارض ، فطبقة الستراتوسفير التي تأتي بعدها وتكون درجة الحرارة في بدايتها ثابتة ثم تزداد حتى ارتفاع (٥٠) كيلو مترا ، ثم تليها طبقة الميزوسفير التي تنقص فيها درجة الحرارة تدريجيا حتى ارتفاع (٨٠) كيلو مترا .

(٥) ـ ان النقاشات والنصوص الرئيسية في هذا المؤتمر ، جمعت في كتاب نشر في الولايات المتحدة بعنوان : « البارد والمعتم » . من قبل ن.دبليو نورتون .

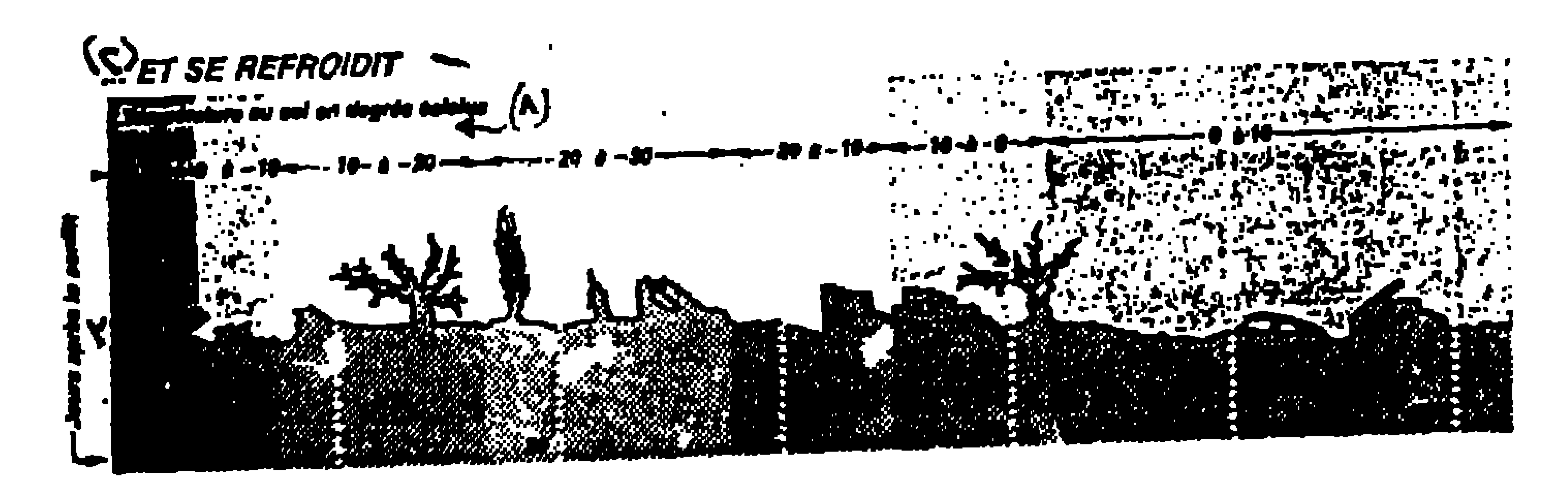
« THE COLD AND THE DARK » N. W. NORTON

ثم نشر نفس هذا الكتاب في فرنسا في شهر شباط من عام ١٩٨٤ بعنوان : « البارد والمظلم » لدى الناشر بلفون .

« LE FROID ET LES TENEBRES » CHEZ BELFOND



الشـكل (ز)



الشـكل (ح)

(١) ـ لدى تفجير خمسة آلاف ميغاطنا : فان نصف الكرة الشمالي يصبح مظلما ...

(٢) ـ ٥٠٠٠ ويبرد (٣) ـ عدد الايام بعد بدء الصراع (٤) ـ مغطـاة جدا

(٥) ـ مغطاة (٦) ـ مغيم (٧) ـ طبيعي .

(٨) ـ درجات الحرارة على الارض .

(٩) ـ اذا فجر الاميركيون والسوفييت أسلحة نووية بقوة (٥٠٠٠) ميغا طنا ، فان أشعة الشمس سوف تصبح أقل من شدتها الطبيعية بعشرين مرة خلال الايام الاثني عشر الاولى . وبعد حوالي شهر واحد تصبح شدة هذه الاشعة أضعف بثلاث مرات ، ثم تحتاج الى حوالي ١٦٠ يوما لكي تعود الى الشدة الطبيعية التي كانت لها قبـل بدء التفجيرات . أما بالنسبـة للحرارة فانها تهبط خلال أقل من أسبوع من ١٣ درجة مئوية الـى ٣ درجات مئوية أي عشر درجات . وفي نهاية العشرين يوما الاولى ؛ فان هذه الحرارة تهبط أيضا الى ٢٠ او ٣٠ تحت الصفر . ثم تصعد لتصل الى ١٠ درجات تحت الصفر بعد شهر واحد ، والى الصـفر بعد عام كامـل .

(١٠) ـ الحيوانات والنباتات البحرية .

الاولى من اسماء العلماء الذين قاموا بها وهم : توركو TURCO ، وتون TOON ، واكرمــان ACKERMAN ، وبــولاك POLLACK وساغان SAGAN

لقد وضعت هذه الجماعة من الباحثين ستين سيناريو أو حالة،معتمدة على المعطيات التي قدمت لها من قبل العسكريين . وان السيناريو الاساسي، الذي يعتبر دليلا ، والقريب جدا من انسيناريو الذي اقترحته مجلة آمبيو AMBIO يأخذ بعين الاعتبار تفجير (٥٠٠٠) ميغا طنا ، بواسطة(١٠٤٠٠) جهازا نوويا تتراوح قوة او عيار كل منها بين (ار٠) و (١٠) ميغاطن ، حيث يفترض ان ٥٧٪ من هذه الانفجارات تنفذ على سطح الارض و ٢٠٪ منها على مقربة من المدن والمراكز الصناعية . وفي هذه الفرضية تنقذف من أماكن الانفجار كمية (٩٦٠) مليون طن من الاغبرة ، حيث يصل منها ٨٠٪ (أي ٧٦٨ مليون طن) الى طبقة الستراتوسفير .

يتألف هذا الغبار من جزئيات ذات مقاييس مختلفة ، حيث يكون لنسبة ٤ر٨٪ منها قطر اقل من ميكرون واحد (وهو قياس نموذجي لاعاقة الاشعة الشمسية) . وبالمقابل فان الحرائق تدمر (٢٣٠٠٠) كيلو مترا مربعا مـن المناطق المأهولة بالسكان ، وخمسماءة الف كيلو مترا مربعا من المناطق المغطاة بالاشجار (وهو مايعادل مساحة فرنسا تقريبا) محولة هذه الاشجار الـى دخان .

ثم ان هذه الحرائق التي تستمر لعدة أسابيع ، تطلق (٢٢٥) مليون طن من الدخان ، تصل نسبة ٥٪ منها الى طبقة التروبوسفير بانتظار تساقطهـا ثانية الى الارض اما بواسطة الامطار او بتأثير ثقلها . ويتألف هذا الدخان ، كما جاء في دراسة كريتزن ــ بيركس CRUTZEN - BIRKS من جزئيات صغيرة من الهباب او السخام ، تكون فعالة جدا في اعاقة مرور ضوء الشمس . واذ استخدمت مجموعة العلماء الخمسة TTAPS نموذجا ذا خصائص ميكروفيزيائيةمماثلة لجزئيات الغبار وهبابالفحم ، فقد استطاعت ان تحدد الطريقة التي يتم فيها ، عبر الزمن والتمدد ، تشكل الطبقة الموحدة

التي لاتلبث ان تغطي شيئا فشيئا كل نصف الكرة الارضية الشمالي. وكذلك، فقد سمح النموذج الثاني ؛ ذو الخصائص المماثلة للجو الذي تتحرك فيه الجزيئات الغبارية المتراصة التي نجمت عن الانقذاف الكثيف للغبار والدخان اليه ، بحساب اكثر دقة لدرجة تخفيف شدة الاشعة الشمسية ، ولتبدلات درجات الحرارة حسب الارتفاع والزمن .

وقد تم التحقق من هذه النتائج ، كما ذكرنا سابقا ـ بواسطة (٤٠) اختصاصيا في شهر نيسان من عام ١٩٨٣ ، الامر الذي يدعو الى الاحساس بالرعب فعلا . وكذلك ، فعندما تستخدم في الحروب المتخيلة كمية تزيد عن الف ميغا طن ، فان غيوم الغبار والدخان تصبح من الضخامة بحيث تحيط بالكرة الارضية باكملها لفترة لاتقل عن اسبوعين . وفي نفس هذه الشروط فان اشعة الشمس تضعف الى حد كبير ، ويحتاج الضباب السميك المتشكل الى اشهر حتى يتلاشى ، وبما ان اشعة الشمس لم تعد تصل الى الارض ، فان درجات الحرارة على هذه الاخيرة تنخفض بشكل حاد . وقد رأينا في المثال او السيناريو الذي تستخدم فيه كمية تبلغ (٥٠٠٠) ميغا طنا ، ان درجة الحرارة تنخفض في نصف الكرة الشمالي الى ٢٣ درجة مئوية تحت الصفر خلال اقل من اربعة اسابيع . ثم تستقر هذه الحرارة في نهاية الشهرين حول العشر درجات تحت الصفر ، ويجب ان ننتظر عاما كاملا حتى تعود هذه الحرارة الى ماكانت عليه .

ان الحرب النووية سوف تجري بصورة رئيسية في نصف الكرة الشمالي، طالما ان كلا من القذائف والاهداف تتركز في هذا النصف من الكرة الارضية . ولكن استنتاجنا سيكون خاطئا فيما لو فكرنا ان نصف الكرة الشمالي وحده هو الذي سيعاني من هذا الصراع . فليس هذا الامر صحيحا ، لان التيارات الهوائية الجوية بين النصفين سوف تجر معها غيوم الدخان والغبار نحو المناطق الاستوائية . والبرهان على ذلك هو ان القمر الصناعي المسمى « بكاشف الاشعة الشمسية في طبقة الميزوسفير » استطاع ان يكشف ان نسبة ١٠ الى ٢٠٪ من الغبار الذي تقذفه البركان المكسيكي نشيشون (في المنطقة الواقعة في

خط العرض ١٤) في عام ١٩٨٢ ، وجد منتقلا بعد سبعة اسابيع الى نصف الكرة الجنوبي .

تميل السيناريوهات الاخرى الى ايضاح النتائج المناخية لحرب نووية تنفذ على نطاق اضيق . حيث يتم انتقاء الاهداف بشكل « مرض » . وهكذا، فان تفجير الف قنبلة من عيار مائة كيلو طن لكل منهما ، وبمعدل واحدة فوق كل مدينة او مركز صناعي ، والتي يبلغ مجموع عياراتها مائة ميغاطن ، وتستطيع ان تثير الحرائق التي تكون من الضخامة بحيث تنشر او تقذف كمية (١٣٠) مليون طن من الدخان الى طبقة التروبوسفير ، يعني انه يمكن بواسطتها اعاقة مرور الاشعة الشمسية ، وبالتالي فان الحرارة تهبط لعدة عشرات الدرجات المئوية خلال اقل من ثلاثة اسابيع . ويجب عندئذ ان ننتظر حوالي ثلاثة اشهر لكي تعود الحرارة الى ماكانت عليه سابقا . وفيما بعد ، تم التحقق من اعمال مجموعة الباحثين المذكورين (TTAPS) بواسطةمجموعتين اميركيتين اخريين(٦) ، كما جرى ايضاحها بواسطة باحثين آخرين(٧) استخدموا نماذج اكثر تعقيدا تتصل بما يطرا على الجو من تغيرات .

ان كتاب هذه الدراسات المختلفة يعرفون ان اعمالهم تفتقر الى اليقين في حدود معينة ، وان كميات الغبار والدخان التي تنتج عن الانفجارات النووية على سطح الارض ، وعن الحرائق ليست معروفة بدقة ، ثم ان الارتفاعات التي تصل اليها هذه المواد ، وزمن بقائها في الجو ليست محددة بدقة ايضا . وبالاضافة الى ذلك ؛ فان الحروب المتخيلة ليست سوى فرضيات تتطلبها طبيعة العمل ، علما ان الصراع النووي بين الولايات المتحدة الاميركية

---

(٦) ـ ضمت المجموعة الاولى ج.ت. خييل J. T. KHEL و ف . راماسواري V. RAMASSWAWY من المركز القومي للابحاث المتعلقة بالجو ، بينما ضمت المجموعة الثانية مايكل ماك كراكن MICHAEL C. MACKRAKEN من مختبر لورانس ليفرمور LAWRENCE LIVERMORE

(٧) ـ هم كيرت كوفي وستيفن شنايدر من NCAR

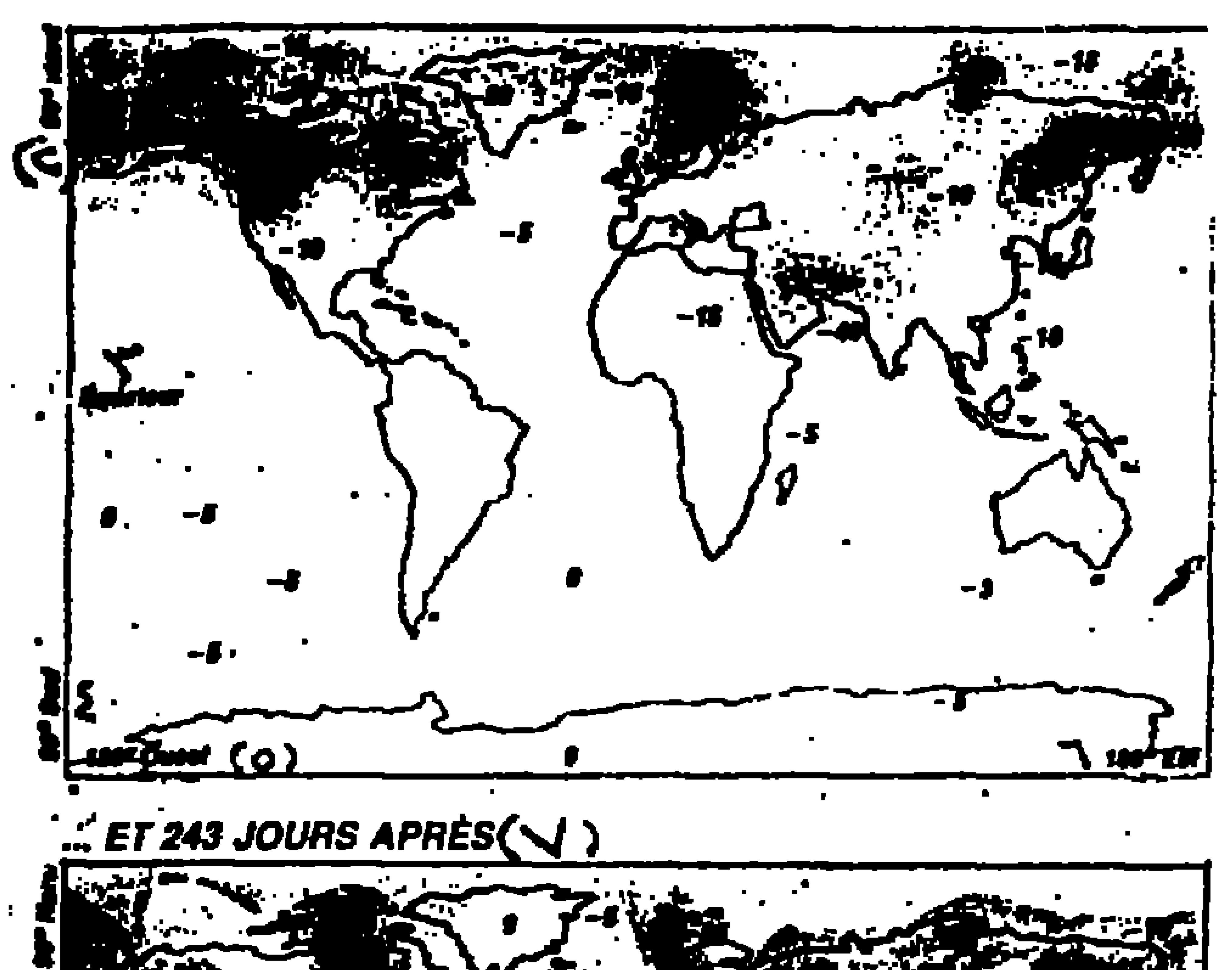
والاتحاد السوفييتي يمكن ان يأخذ أشكالا أخرى متعددة لم تخطر ببال العلماء بدون شك .

كان البروفسور ادوارد تيلر - المعروف بأب القنبلة الهيدروجينية ، من مخبر اورانس ليفرمور ، قد نشر تعليقا انتقاديا في صحيفة NATURE بتاريخ ٢٣ آب ١٩٨٤ ، حيث تحفظ ضد خطورة التبسيط المبالغ به ، مؤكدا ان هذه الفرضيات لايمكن ان تكون فوق الشبهات . ولكنه اعترف بان المواضيع المطروقة تستحق ان ندرس عن كثب وان يبذل الجهد اللازم من أجلها . ثم ان الكثير من النتائج التي تم الحصول عليها ، كانت متوافقة ، كما ان العديد من العلماء المشهورين ، ومن مختلف الاطراف متفقون على ان التأثير المناخي الكارثي للحرب النووية كان قد أهمل كليا حتى الآن ، وبالتالي فلا بد أن يعالج بجدية وترو .

ان البعد الكبير لتأثيرات « الغبار » و « الدخان » يجب ان يؤخذ بالاعتبار بسرعة كبيرة ، ويعار كل اهتمام الاستراتيجيين العسكريين . وما ان نشرت الدراسة الاولى عن هذا الموضوع في مجلة آمبيو AMBIO السويدية ، حتى طلبت وكالة الدفاع النووي الاميركية فورا الى اكاديمية العلوم ان تنفذ بحثا جديدا في هذا المجال . وفي الواقع فان الدكتور مارفن اتكينز MARVIN ATKINS كان قد قال في هذا السياق :

« اننا لانعرف فيما اذا كانت غيمة الدخان ستصبح مركزة في طبقة موحدة ، او انها قد تتوزع الى غيوم مبعثرة ، وكذلك فنحن نعرف بشكل سيء المعطيات عن كميات المادة المحترقة الناجمة من الحرائق الشديدة، وليس لدينا معطيات أفضل من هذه ، عن كميات الجزيئات المقذوفة . وبالتالي فلا بد لنا من الحصول على معلومات اضافية ومكملة » .

ان تقرير اكاديمية العلوم الاميركية يجب ان يصل الى الوكالة النووية في نهاية هذا العام (١٩٨٤) . وعموما ، فان وكالة الدفاع النووي الاميركية سوف تخصص مليوني دولار لتمويل الابحاث المتصلة بهذا الموضوع . وكذلك، فان وزارة الطاقة الاميركية سوف تخصص مثل هذا المبلغ تقريبا ، حيث



... ET 243 JOURS APRÈS(٧)



(١) ــ الشتاء النووي حسب السوفييت : بعد اربعين يوما ...

(٢) ــ ٩٠ درجة مئوية شمالا (٣) ــ خط الاستواء (٤) ــ ٩٠ درجة مئوية جنوبا

(٥) ــ ١٨٠ درجة مئوية غربا (٦) ــ ١٨٠ درجة مئوية شرقا (٧) ــ وبعد ٢٤٣ يوما

(٨) ــ لقد حسب السوفييت درجة تبرد الكرة الارضية بعد انفجار كمية عشرة آلاف ميغاطنا .

ويبين كل من الخريطتين المنحنيات الحرارية التي يفصل بين كل اثنين منها خمس درجات مئوية. وبعد اربعين يوما من بدء الصراع ، تنخفض درجة الحرارة الى اربعين درجة مئوية تحت الصفر في بعض مناطق نصف الكرة الشمالي (الباكستان وشمال كندا مثلا) والى خمس درجات مئوية تحت الصفر في بعض مناطق نصف الكرة الجنوبي (استراليا) . اما بعد أكثر من ثمانية أشهر من بدء الصراع ، فان هذه الحرارة ستكون تحت الصفر أيضا في العديد من الاماكن . وسوف تصبح مثلا (٢٠) درجة مئوية تحت الصفر في المملكة العربية السعودية ، و (١٥) درجة مئوية تحت الصفر في المملكة العربية السعودية ، و (١٥) درجة مئوية تحت الصفر في امريكا الوسطى . وفي اوروبا تبدأ الحرارة بالتحسن لتصبح بين الخمس درجات تحت الصفر والصفر نفسه ، بينما تبقى البرودة مسيطرة على نصف الكرة الجنوبي حيث تكون الحرارة مساوية الى خمس درجات مئوية تحت الصفر في العديد من مناطقه .

سيفدم القسم الاكبر منه الى مخبر لورانس ليفرمور ، بغية تطوير نماذج بعثرة او نشر النار من أجل دراسة تبدد الدخان في طبقتي التروبوسفير والستراتوسفير، وزمن بقاء الجزيئات في الجو قبل ان تسقط ثانية على الارض ، وكذلك لتطوير نماذج تمثيل التيارات الجوية .

اهتمت الحكومة الاميركية الفدرالية نفسها بالتحقق من هذه المعطيات . ففي شهر شباط من عام ١٩٨٤ ، طلب الدكتور جورج كيوورث GEORGE KEYWORTH الى السيد الن هيخت ALAN HECHT مدير البرنامج القومي للمناخ في الادارة القومية لدراسة المحيطات والاجواء ، (والذي كنا قد اجرينا مقابلة معه في واشنطن) ، بأن يحكم في النتائج التي تم التوصل اليها ، وينفذ دراسات عميقة ، ويقترح برنامجا واسعا للابحاث على المستوى القومي . ونذكر مثلا ان التجارب المخبرية يجب ان تسمح بتحديد أفضل الخصائص الدخان ، كقياس وبنية الجزيئات في المخبر ،تجارب على نطاق واسع ودراسات دقيقة عن الحرائق الكبيرة في الغابات وفي المناطق المأهولة بالسكان او التي توجد فيها منشآت بترولية . وأخيرا يمكن أيضا ان نجرى التجارب عن تدقيق او تحسين النماذج الحسابية لحركة الغيوم . ويمكن ان تلقى مهمة تنفيذ هذه الابحاث على عاتق المصالح الحراجية القومية التي تقوم عادة بدراسة حرائق الغابات ، او على عاتق المكتب القومي لتوحيد نماذج المنتجات الصناعية ، الذي يعمل في مجال جعل المباني مقاومة للنار ، او على عاتق الادارة القومية لدراسة المحيطات والاجواء NOAA التي تعمل في مجال دراسة سلوك (حركة) التيارات الهوائية في الجو .

وقد أصبح برنامج الن هيخت الآن في مكتب جورج كيوورت KEYWORTH الذي يجب ان يقرر وضعه موضع التنفيذ ، وتخصيص الاموال اللازمة له . ويقول ألن هينمت . « ان الخيار يكمن الآن في الحصول على عشرة ملايين من الدولارات سنويا ولمدة خمس سنوات على الاقل » . وبالاضافة الى ذلك ، فقد قررت الجمعية الملكية في كندا ان تدرس عن كثب الحرائق الكبرى في الغابات . اما بالنسبة للسوفييت الذين اشتركوا في

الدراسات الاولى ، منهم لايزانون حذرين جدا ، كالعادة ، بما يتصل بنواياهم في هذا المجال . وعلى المستوى انعالمي ، نجد ان « سكـوب » (أي اللجنـة العامية لدراسة المسائل المتعلقة بالوسائط المحيط) والتي هي جزء متكامل من مجلس الاتحاد الدولي للعلماء ، الذي يضم باحثين من كل العالم ، تحضر تقريرا عن مجموع النتائج المناخية والبيولوجية للحرب النووية ، والذي-أي التمرير — لن ينشر الا في النصف الثاني من عام ١٩٨٥ .

واليوم ، قلما نجد عالما واحدا في الوسط العلمي يشك في النتائجالمأساوية لتاثيرات « الغبار والدخان » . ففي خلال عدة ايام سوف يخيم ليل طويـل وشتاء جليدي على القسم الاكبر من الكرة الارضية .

وكما لوحظ في الدراســه التي نفـذت باشراف البروفســور اورليـخ PR ERHLICH فان العديد من النباتات والحبوب يستطيع مقاومة درجات الحرارة المنخفضة ، اذا تعرضت هذه الاخيرة فجاة لاشهر الشتاء القارص ، ونذكر مثلا ان بعض انواع القمح تتحمل جيدا درجات الحرارة التي تتراوح بين (١٥) و (٢٠) تحت الصفر .

ولكن يجب الاخذ بعين الاعتبار انه اذا حدث الهبوط الحاد في الحرارةفي فصل الربيع او في الصيف ، فيكفي ان يصل هذا الهبوط الى مادون الصفر فقط حتى تتلف هذه النباتات نهائيا . اما بعض انواع الحبوب الاخرىكالارز او الذرة البيضاء مثلا ، فانها حساسة بالنسبة لدرجات الحرارة التي تقل عن ١٣ درجة مئوية ، وخاصة في فترة نموها ، بينما نجد أن الذرة الصفراء وفول الصويا ينموان بشكل سيء اذا كانت درجة حرارة الجو تقل عن عشر درجات مئوية . وكذلك ، فان النباتات الاستوائية ، تكون ذات حساسيةمعينة بالنسبة للتغيرات الحرارية على امتداد العام كله . لذا فان قسما كبيرا مـن الغابات في هذه المناطق الاستوائية سوف يختفي ، كما ستختفي معه أنواع عديدة من الحيوانات والنباتات الاستوائية . ثم ان البرد الشديد سوف يؤدي الى التجمد الفوري لكافة الانهار والبحيرات ، والى اختفاء الكائناتالحيوانية التي تعيش فيها .

اما المحيطات ذات الطاقة الحرارية الكبيرة جدا ، فسوف تفلت عموما من التجمد . وكذلك فان الظلام سوف يخيم في المناطق الساحلية بسبب العواصف العنيفة الناجمة عن الاختلاف الكبير في درجات الحرارة بين البر والمحيطات. وسوف تصبح عملية التركيب الضوئي في النباتات PHOTO SYN THESE بطيئة ، ثم تتوقف كليا عندما تنخفض شدة الاشعة الشمسية الى ما دون الخمسة بالمائة من مستواها الطبيعي ، وبالتالي فان عملية التغذية النباتية ، التي هي الحلقة الاولى في سلسلة التغذية البحرية تصبح ايضا معطلة. وهكذا فان كافة الحيوانات البحرية التي تعتمد في نموها على هذه العملية تختفي أيضا بدورها .

ثم ان الكابوس لاينتهي هنا ؛ لانه يجب ان نضيف تاثيرات المواد المشعة المتساقطة الى تاثيرات البرد والظلام . فالجرعة المميتة المتوسطة للكائنات الحية تتراوح بين (٣٥٠) و (٥٠٠) راما(٨) ، ويتم تلقيها خلال فترة (٤٨) ساعة . وبالمقابل فان القسم الاكبر من الثدييات والحيوانات النباتية يتحمل جرعات أكبر تصل حتى (١٠٠٠) رام . واذا ما أخذنا مثلا السيناريو الذي اقترحته مجلة آمبيو AMBIO او كمية ٥٧٤٢ ميغاطنا الموزعة على ١٤٧٤٧ رأسا نوويا ، فان ذلك يعني ان مساحة خمسة ملايين كيلو مترا مربعا (اي مايزيد عن مساحة فرنسا بعشر مرات تقريبا) ، وان المناطق الواقعة باتجاه الريح ستكون ملوثة بهذا المقدار ، أي يتلقى الشخص الموجود فيها مايزيد عن (١٠٠٠) رام خلال ٤٨ ساعة ، علما انه يتلقى نفس هذه الجرعة في ٨٥٪ من مساحتها خلال اقل من ٤٨ ساعة ايضا . وفي هذه المساحة تموت كافة الكائنات البشرية ، واغلب انواع الحيوانات والنباتات ايضا . واذا حدث ، ان دمرت الانفجارات النووية المراكز النووية او مواقع خزن النفايات النووية ، فان شدة الاشعاعات ستكون أقوى ، وبالتالي فان المواد المشعة سوف ـ تنتشر على مناطق واسعة .

---

(٨) ـ ان الرام (REM) هو وحدة التاثير البيولوجي للاشعاعات . وهو يعادل الجرعة المتلقاة المقاسة بالراد (RAD) ، والمعروفة في عاملي الحساسية وتوزع الاشعاعات .



(١) ـ كيف تضع الاغبرة والادخنة ستارة بين الشمس وبيننا .

(٢) ـ قنبلة من عيار (١٠٠) كيلو طن .

(٣) ـ بعد الصراع بثلاثين يوماً (٤) ـ التروبوسفير (٥) ـ الستراتوسفير

(٦) ـ بعد الصراع بمائة وعشرين يوماً (٧) ـ التروبوبوز (طبقة جوية وسطى)

(٨) ـ قبل بدء الصراع ، اليوم : صفر .

(٩) ـ ان الارتفاع الذي تنقذف اليه الاغبرة يعتمد على قوة او عيار الجهاز النووي الذي جرى تفجيره . فبالنسبة لقنبلة من عيار مائة كيلو طن ، تصل الاغبرة الى حدود طبقةالتروبوسفير، بينما تصل هذه الاغبرة الى أعالي طبقة الستراتوسفير اذا كان عيار القنبلة يساوي ميغا طنا واحدا ، (أي مليون طن) . وان هذه الاغبرة ، والادخنة الناجمة من الحرائق تتمدد في الاعالي وتشكل ستارة امام أشعة الشمس وبالتالي ، فان طبقات الجو العليا تسخن ، بينما تبرد الطبقات الدنيا . تمثل المنحنيات الثلاثة المبينة في الصورة توزع درجات حرارة الجو حسب الارتفاع في اليوم الذي يسبق الصراع أي اليوم صفر (J = O)

وبعد ثلاثين يوما من الصراع (J = 30)

وبعد مائة وعشرين يوما منه (J = 120)

(١٠) ـ قنبلة من عيار ميغاطن واحد (مليون طن) .

وهناك ، حيث تكون المواد المشعة المتساقطة اقل شدة ، فان الاشخاص او الحيوانات يصابون بالمرض الاشعاعي . وان البقاء لمدة طويلة في المناطق الملوثة بالمواد المشعة يؤدي الى نقص خطر في المناعة ، الامر الذي يترك المصابين بدون وقاية او دفاع ضد الانتهابات . ولا يلبث ان يظهر عدد كبير من التشوهات الوراثية والسرطانات .

ان مايحدث خلال الاشهر الاولى بعد بدء الصراع ، هو ان غيمة كبيرة جدا من الغبار والهباب تحيط بالكرة الارضية ، وتمتص الاشعة الشمسية ، وبشكل خاص الاشعة فوق البنفسجية المشؤومة من نوع (ب) (علما ان طول أمواج هذه الاخيرة يتراوح بين ٢٩٠ و ٣٢٠ نانو مترا(٩)) التي يمكن في الحالات العادية ، ان يتم ايقافها بواسطة طبقة الاوزون . اما في حالة التفجير الكثيف للأسلحة النووية ، فان كميات كبيرة جدا من أوكسيد الآزوت تنتج عن تأكسد الآزوت مع الهواء الذي يصبح آنئذ بدرجة حرارة مرتفعة جدا ، تزيد عن (٢٠٠٠) حريرة ، او ان هذه المنتجات تهاجم بعنف طبقة الاوزون التي تتمزق شيئا فشيئا .

وعندما تنقشع غيمة الغبار والهباب ، يكون حاجز حماية الارض قد اصبح مدمرا بشكل خطير .

وعلى الناجين التعساء ان يصارعوا السموم الكيميائية التي تلوث الجو والمياه .

وفي الواقع ، فان انواعا كثيرة من الغازات السامة تنطلق خلال الحرائق وتشمل أول أوكسيد الكربون ، والسيانور ، ودي بنزو فيران كلورير الفنيل ، والديوكسينات ، حيث تنتقل هذه المواد عبر الهواء وتنتشر فوق مناطق واسعة .

ان اكتشاف تأثيرات « الغبار » و « الادخنة » أدى الى تغيير جوهري في

---

(٩) ـ ان النانو متر يساوي جزءا من ($١٠^{١٢}$) من المتر او هو : (١×١٠^{-١٢}) مترا .

المعطيات الاساسية للاستراتيجية النووية . فلماذا ؟ ان السبب في ذلك يعود الى ان الحرب الذرية الواسعة النطاق لايمكن ان تقتصر بعد اليوم على الطرفين المتحاربين فقط ، ولكنها ستصبح عالمية وجذرية .

فمن « أرض النار » الى المملكة العربية السعودية ، ومن الهند الى اوستراليا ، نجد ان كل دول الكرة الارضية سوف تعاني من الصراع النووي الواسع النطاق . وقد تجد بعض الدول ان شعوبها قد أبيدت كليا دون ان تسقط قنبلة واحدة في اراضيها . وان حالات التوتر ، والتهديدات التي يمكن ان تؤدي الى صراع نووي ، اصبحت الآن من الامور التي تهم كافة شعوب الكرة الارضية . وبالتالي ، فان المعتدي يصبح أيضا الضحية الحقيقية لعدوانه ، لانه اذا كانت الكميات التي تقذفها القنابل كافية لخلق الشتاء النووي ، فان

شرح الصورة التالية

(١) ـ يوجد في الترسانات النووية الغربية والشرقية : مايكفي لخلق ستة شتاءات نووية .

(٢) ـ الترسانات النووية الاستراتيجية محسوبة بالميغاطن .

(٣) ـ الكارثة المناخية مؤكدة .

(٤) ـ يوجد خطر لحدوث الكارثة المناخية .

(٥) ـ لايوجد خطر لحدوث الكارثة المناخية .

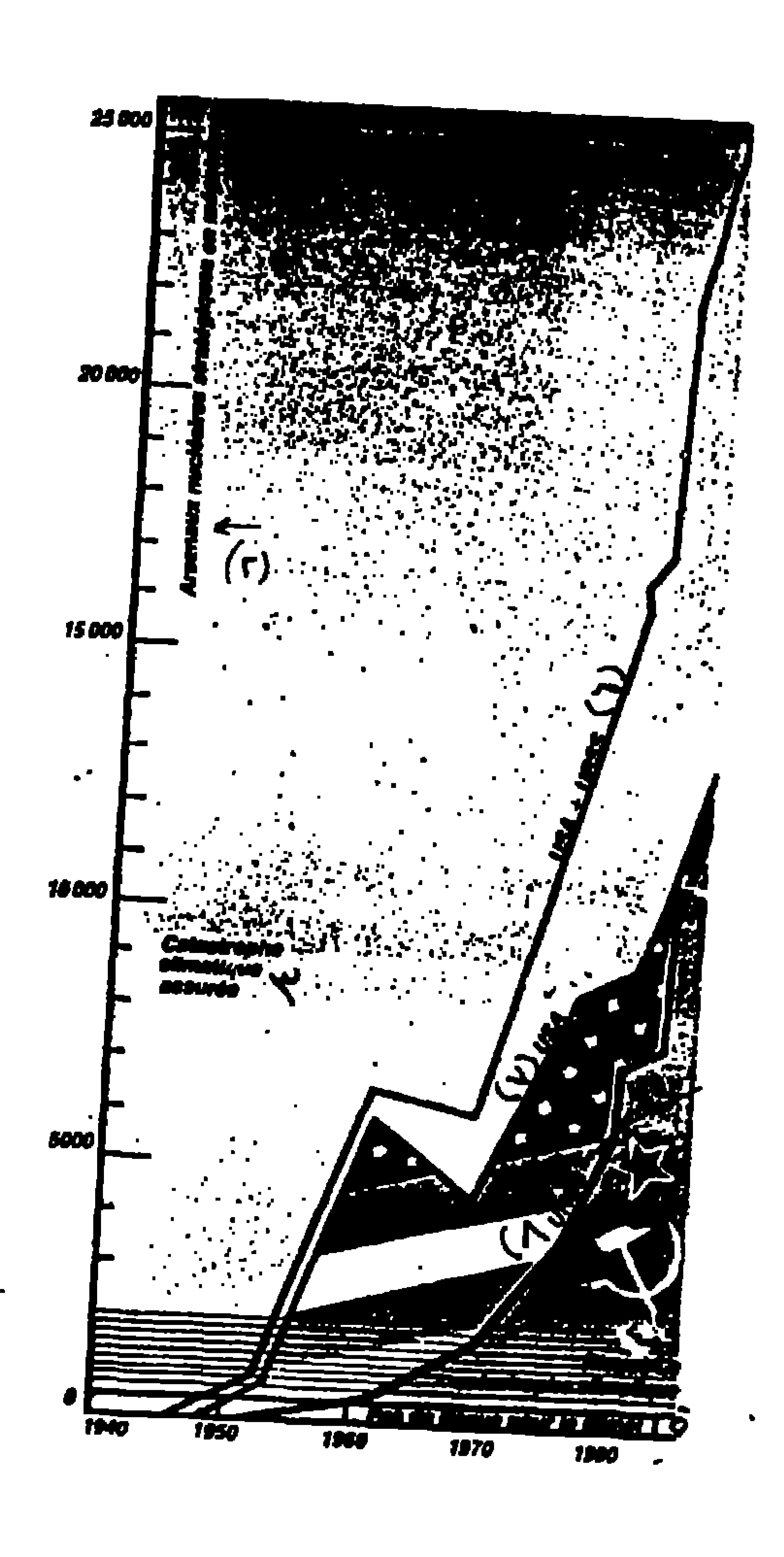
(٦) ـ الولايات المتحدة الاميركية + الاتحاد السوفييتي .

(٧) ـ الولايات المتحدة الاميركية .

(٨) ـ الاتحاد السوفييتي .

(٩) ـ لايزال مخزون الاسلحة النووية الاميركية والسوفييتية يزداد يوما بعد يوم منذ عام ١٩٤٥ . وان هذه المنحنيات التي أنشأها البروفسور كارل ساقان ، تمثل تطور الترسانات المذكورة حتى عام ١٩٨٢ . واليوم يبلغ هذا المخزون (١٣٠٠٠) ميغا طن ، علما ان (٢٠٠٠) ميغاطن تكفي لخلق الكارثة المناخية .

الادخنة والاغبرة سوف تنتشر خلال عشرات الايام وتصل الى أرضه . ومن ناحية اخرى ، فاذا كان الهجوم النووي محدودا ، واقل من الحد الكافي لخلق الشتاء النووي ، فان الخصم سوف يتردد بدون شك في الرد ، خشية ان يؤدي هذا الرد الى خلق كارثة مناخيــة . ولا بد منذ الآن ان يعاد النظر بسياسة التسلح النووي ، في ضوء هذه المكتشفات الحديثة . وكما يقترح البروفسور كارل ساغان CARL SAGAN ؛ فانه يمكن التخفيف الــى



حد كبير من نتائج الحرب النووية اذا استخدمت اجهزة دقيقة جدا ، واقل قوة ، وقادرة على النفوذ الى داخل التربة لبضعة امتار قبل انفجارها .

واذ تثبت هذه الدراسات العلمية انه لن يكون ثمة منتصر في اي صراع نووي ، فانها تدعم وجهة نظر اصحاب المذهب السلمي ، وبشكل خاص أولئك الذين يعارضون نشر صواريخ البرشينغ ـ ٢ في المانيا ، وصواريخ الكروز في انكلترا ، وايطاليا ، وبلجيكا ، وهولندا . وان السوفييت يعملون من جانبهم على تجنيد الرأي العام الغربي الى جانب الاتجاه السلمي بغية جعله يقف ضد نشر الصواريخ الاميركية في اوروبا،محاولين بذلك استغلال نتائج هذه الابحاث. وبالمقابل فقد انتقد البروفسور ادوارد تيلر (أب القنبلة الهيدروجينية) ، الذي يؤثر رايه غالبا على الرئيس الاميركي ، ابحاث زملائه . وحاول ان يشكك بفرضياتهم . ولكن لابد لنا ان ننظر بدون شك ، وبين هذا الطرفين ، الى مجموعة هذه الاعمال باعتبارها اسهاما من قبل باحثين يتمتعون بشهرةعالمية، في معرفة افضل لتأثيرات سلاح رهيب على كرتنا الارضية .

الحسابات النهائية لكافة المتساقطات في حرب نووية
تستخدم فيها كمية عشرة آلاف ميغا طنا

في نصف الكرة الارضية الشمالي

الخواص المتبدلة	القيمة الوسطية بالمقارنة مع القيمة الطبيعيـة	مدة الاستمرار	المناطق المصابة
الشدة الضوئية	١٠٠/	٥را شهرا	المناطق المعتدلة
	٢٠/١	٣ أشهر	المناطق المعتدلة
	٤/١	٥ أشهر	نصف الكرة الشمالي بأكمله
	٢/١	٨ أشهر	نصف الكرة الشمالي بأكمله
حرارة الارض	ـ ٤٣ درجه مئوية	٤ أشهر	المناطق المعتدلـة الشماليـة من الكرة الارضية .
	ـ ٢٣ درجة مئوية	٩ أشهر	نصف الكرة الشمالي باكمله
	ـ ٣ درجات مئوية	١ شهر	نصف الكرة الشمالي باكمله
الاشعة فوق البنفسجية من نوع (ب)	× ٤	١ عام	نصف الكرة الشمالي باكمله
	× ٣	٣ أعوام	نصف الكرة الشمالي باكمله
المواد المشعة المتساقطة (الجرعات المتلقاة) .	٥٠٠ راما	ـ من ساعة الى يوم	٣٠٪ من المناطق المعتدلة
	١٠٠ رام	ـ من ساعة الى يوم	٥٠٪ من المناطق المعتدلة
	١٠ رامات	≶ شهر واحد	٥٠٪ من المناطق المعتدلة
المواد المشعة المتساقطة :	اليود ١٣١ ، 4×10^{5} ميلي كوري	٨ أيام	المناطق المعتدلة
	الروثنيوم ١٠٦ ، 10^{4} ميلي كوري	١ عام	نصف الكرة الشمالي باكمله
	السترونسيوم ٩٠ ، ٤٠٠ ميلي كوري	٣٠ عاما	نصف الكرة الشمالي باكمله
	السيزيوم ١٣٧ ، ٦٥٠ ميلي كوري	٣٠ عاما	نصف الكرة الشمالي باكمله

تابع الحسابات النهائية لكافة المتساقطات الخ ...

	نصف الكرة الارضية الجنوبي		
الشدة الضوئية	١/١٠ ١/٢ ١/٢٥ر١	١ شهر ٢ شهر ٤ أشهر	المنطقة الاستوائية المناطق الاستوائية والمعتدلة نصف الكرة الجنوبي بأكمله
حرارة الارض	– ١٨ درجة مئوية – ٣ درجات مئوية + ٧ درجات مئوية	١ شهر ٢ شهر ١٠ أشهر	المناطق المعتدلة المناطق المعتدلة المناطق المعتدلة
الاشعة فوق البنفسجية من نوع(ب)	× ٥ر١ × ٢ر١	١ عام ٣ أعوام	نصف الكرة الجنوبي بأكمله نصف الكرة الجنوبي بأكمله
المواد المشعة المتساقطة (الجرعات الملتقاة) :	≶ ٥٠٠ راما ١٠ – ١٠٠ رام	من ساعة الى يوم من يوم الى شهر	قرب مراكز الانفجارات نصف الكرة الجنوبي
المواد المشعة المتساقطة .	السترونسيوم ٩٠ ، ٣٠٠ميلي كوري السيزيوم ١٣٧ ، ٣٣٠ ميلي كوري	٣٠ عاما ٣٠ عاما	نصف الكرة الجنوبي بأكمله نصف الكرة الجنوبي بأكمله

ملاحظة على الجدول :

يشمل هذا الجدول تأثيرات الصراع النووي المتخيل الذي يفجر فيه الاميركيون والسوفييت مايعادل عشرة آلاف ميغاطنا ، حيث تشمل الاهداف المدن الكبرى وصوامع الصواريخ (ولم يؤت على ذكر تأثير النبضة الكهرطيسية لانها لاتمارس اي ضرر على الكائنات الحية) . وقد ذكرت بالنسبة لكل من نصفي الكرة الارضية الشمالي والجنوبي ، الخصائص الفيزيائية التي تخضع لتغيرات جذرية ، واختلافها عن الحالات العاديـة ، ومدة استمرار التأثير ، والمناطق التي يموت فيها هذا التأثير .

وكذلك ، ففي حالة وقوع هذا الصراع ، تضعف شدة الضوء في نصف الكرة الشمالي بمعدل مائة مرة ، ولمدة (١ر٥) شهرا ، الخ ...

* ■ *

الفهـــرس